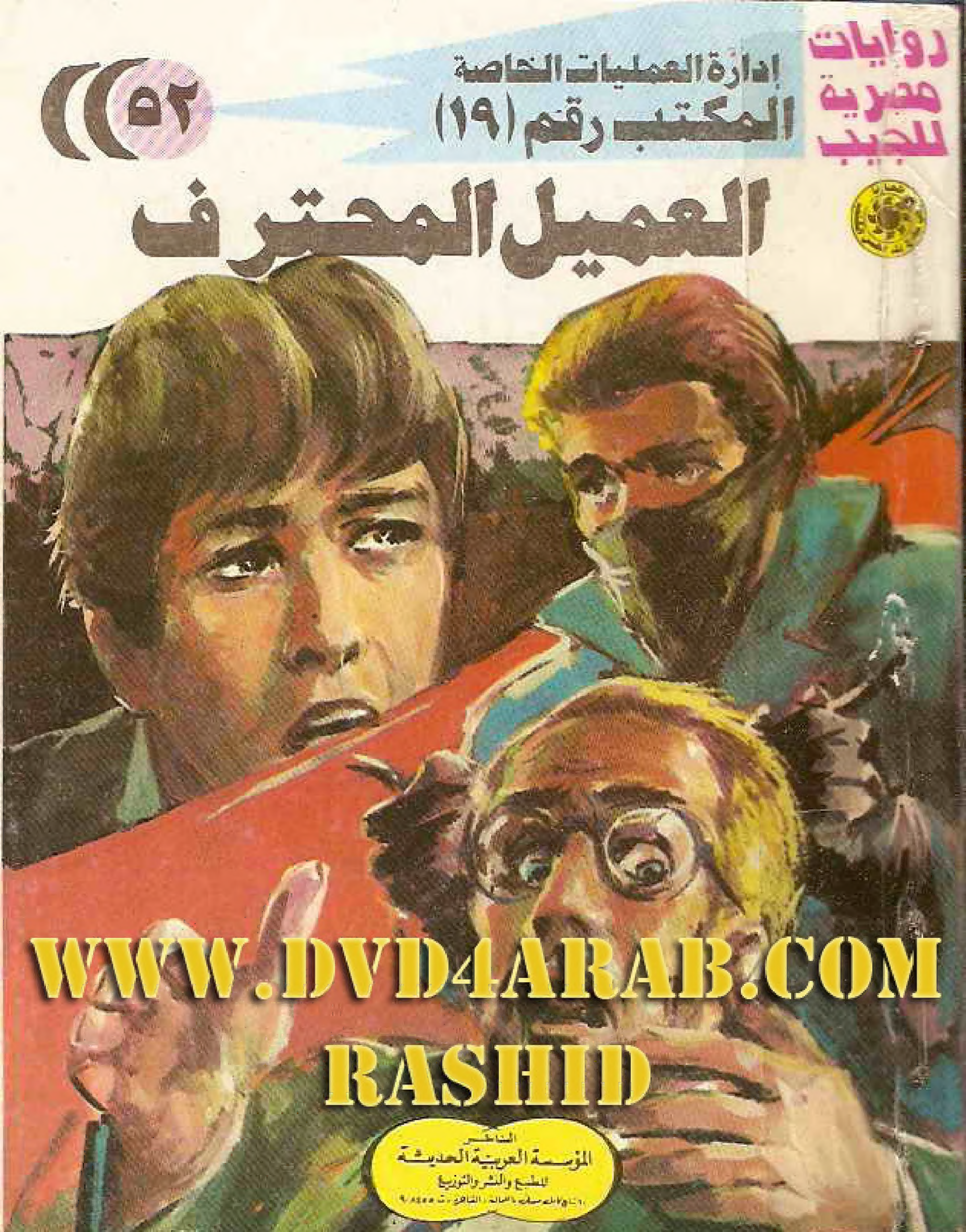

روايات مصرية للجيب
٥٢
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
العميل المحترف
WWW.DVD4ARAB.COM
RASHID
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـــ رجل من نوع خاص ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة مساءً ، عندما غادر ذلك الرجل ، ذو الوجه المتجهِّم والشعر الأشعث المجعد ، متجهًا نحو باب الغرفة المغلقة ، التى وُضِعَتْ عليها لافتة صغيرة ، كُتِبَ عَلَيْهَا « هيئة الأمن القومى الاستراتيجى » ، واستقبلته سكرتيرة حسناء ، ذهبية الشعر ، قال لها بصوت قوى النبرات :

ـــ هل حضر الجميع ؟

قالت السكرتيرة ، وهى تنزع عنه معطفه ، لتعلِّقه على المشجب المجاور :

ـــ لقد حضروا جميعًا منذ ثلث الساعة ، وهم فى انتظارك بالداخل .

خلع الرجل منظاره ، لينظف عدساتها الزجاجية ، قائلًا :

ـــ حسنًا .. لا تسمحى بأية مقاطعات ، حتى ننتهى من اجتماعنا .

ثم فتح باب الغرفة ، ودلف إلى الداخل ، وكان هناك ستة أشخاص ملتفين حول مائدة اجتماعات مستطيلة ، وقد وضع كل منهم مجموعة من الأوراق والملفات أمامه ، وسرعان ما تعلَّقت عيونهم جميعًا بالرجل ، الذى تصدَّر المائدة ، وهو ينقل بصره بينهم ، كأنما يتأكد من شخصية كل منهم ، وقال لهم وهو يتراجع فى مقعده :

ــ لقد طلبت الاجتماع بكم اليوم لأمر هام ؛ فلدينا معلومات مؤكدة أن العلماء الألمان ، الذين استعانت بهم الحكومة المصرية ، للمشاركة فى تصنيع مجموعة من الصواريخ الإليكترونية المتقدمة ، قد بدأوا بالفعل فى تنفيذ البرنامج المتفق عليه ، بينهم وبين الحكومة المصرية ، وهذا الأمر بالغ الخطورة ، يشكِّل علينا خطرًا جسيمًا فى المستقبل ، إذ أن إنتاج مثل هذا النوع من الصواريخ لن يجعل المصريين متساوين معنا من الناحية الاستراتيجية العسكرية فحسب ، بل سيجعلهم متقدمين علينا أيضًا فى هذا المجال ، ولا سيما إذا ما اكتسب المصريون خبرة إنتاج هذا النوع من الأسلحة ، وحاولوا نقله إلى بلاد عربية أخرى .. ولقد أبلغنى رئيس الوزراء اليوم أنه قلق للغاية لهذا الأمر ، وطلب وضع نهاية حاسمة لهذا المشروع

المشترك ، بين العلماء الألمان والمصريين ، قبل أن يصل إلى مرحلة متقدمة ، ولقد جمعتكم اليوم ؛ لأعرف رأيكم فى هذا الشأن .

تحدَّث أحدهم قائلًا :

ــ إننى اقترح توجيه عملية عسكرية محدودة ، على الحدود المصرية ، تكون بمثابة إنذار للمصريين ، للتوقف عن إتمام هذا المشروع ..

رد عليه الرجل صاحب المنظار ، قائلًا :

ــ لا أعتقد أنها فكرة صائبة ، أو أنها ستؤدِّى إلى تحقيق نتيجة حاسمة فى هذا الشأن ، فسوف يؤدى بهم ذلك إلى الإصرار على استكمال المشروع ، بعد أن تبيَّن لهم فائدته على المدى الطويل ..

قال آخر :

ــ لنرسل احتجاجًا شديد اللهجة ، إلى الحكومة الألمانية .

ردّ عليه الرجل قائلًا :

ــ وهذا أيضًا لن يجدى ، فقد تم التعاقد بين الحكومة المصرية والعلماء الألمان بصفة شخصية ، ولن يكون أمام

الحكومة الألمانية فى حالة ما إذا رضخت للاحتجاج ، الذى سنوجّهه إليها ، سوى تخيير هؤلاء العلماء بين العودة السريعة إلى (ألمانيا) ، أو الفصل من مراكز الأبحاث العسكرية ، وهؤلاء العلماء قد تقدموا باستقالتهم بالفعل .

قال ثالث :

ــ فلنرسل مجموعة من رجال (الكوماندوز) التابعين لنا ، لاغتيال هؤلاء العلماء الألمان بطريقة سرية ، فلن يكون هناك أجدى من ذلك لإيقاف العمل فى هذا المشروع .

كان هناك شخص نحيل الجسد ، ضامر الوجه له عينان ثاقبتان ، أخذ يوزّع نظراتهما على الموجودين ، حتى استقرت عيناه على الأوراق الموضوعة أمامه ، وهو يقول بصوت أقرب إلى الهمس :

ــ لسنا بحاجة إلى فرقة من رجال الكوماندوز ، فذلك أمر قد يؤدى بنا فى النهاية إلى التورّط فى فضيحة دولية ، نحن فى غنى عنها ، كما أننا لا نضمن أن يؤدى هؤلاء الرجال مهمتهم على الوجه الأكمل .

ردّ عليه صاحب الاقتراح ، قائلًا :

ــ وهل لديك حل آخر ؟

أجابه النحيل ، وقد علا صوته هذه المرة :

ــ نعم .. نحن بحاجة إلى رجل من طراز خاص .. عميل محترف ، يتولى أمر هؤلاء العلماء الألمان ، بطريقة سرية ومضمونة .

قال أحدهم متهكّمًا :

ــ رجل واحد فقط ؟

ردّ النحيل ، دون أن يبدو عليه التأثّر ، من اللهجة الساخرة ، التى يتحدث بها زميله :

ــ قلت إنه ليس كأى رجل آخر .. إنه رجل يجيد أداء عمله جيّدًا ، بطريقة لا مجال فيها للخطأ .

تحدث شخص آخر ، من الملتفّين حول المائدة قائلًا :

ــ حسنًا .. وأين تجد هذا (السوبرمان) ، الذى تتحدّث عنه ؟

أجابه النحيل بثبات :

ــ لدى هذا الرجل .

وحسم قوله النقاش ..

* * *

فى أحد مراكز تدريب العملاء السريين فى (استرتان) ،

وقف النحيل يراقب شابًا فارع الطول ، عريض المنكبين ، يرتدى زيًا رياضيًا وسروالًا قصيرًا ، وقد برزت عضلاته المفتولة ، وبدت عروقه نافرة ، وهو يتلقى عددًا من اللكمات المتتالية فى بطنه ، من أحد الأشخاص ، دون أن يتزحزح من مكانه ، أو يبدو عليه الإحساس بالألم ، فى حين بدا الشخص الذى يكيل له اللكمات وقد أصيب بالإرهاق ، وأخذ العرق يتصبَّب على جبينه ، وفجأة انقضّ الشاب الفارع الطويل على خصمه ، ليضغط بأصابعه فى قوة ، على المنطقة ما بين الرقبة والكتف من الجهتين ، فصرخ خصمه من شدة الإحساس بالألم ، وأخذت يداه ترتعشان ، فى حين ازداد ضغط الشاب ، الذى بدا أنه يجيد استخدام تلك الحركة الفنية ، على تلك المنطقة من جسد غريمه ، الذى لم يلبث أن سقط مغشيًا عليه ، فى حين قفز الشاب فى الهواء إلى الخلف ، بحركة بهلوانية ، تدلّ على رشاقة غير عادية ، وعلى قوة البنيان ، ليلفّ ساقيه حول غريم آخر ، كان يستعد لمهاجمته من الخلف بمسدسه ، وتمكّن من إسقاطه أرضًا ، بعد أن انتزع منه مسدّسه ، ثم ضغط زناد المسدس بخفة مذهلة ، ليصيب ثلاثة أشخاص آخرين ، كانوا يستعدون لمهاجمته ..

واقترب الرجل النحيل من الأشخاص الثلاثة ، الممددين فوق الرمال ؛ ليفحص موقع الإصابة فى جسد كل منهم ، ثم نهض الثلاثة ، وأخذ كل منهم يزيل أثر البقعة الحمراء ، التى استقرت فوق صدره ، من الطلقات الملونة ، التى صوّبها الشاب ، فى حين اقترب الشاب المفتول العضلات نفسه ، من النحيل ، دون أن يبدو عليه أى أثر للتعب أو الإرهاق ، وقال له النحيل ، وهو يشير إلى أحد الأشخاص الثلاثة ، وقد بدت على وجهه ملامح عدم الرضاء :

ـــ يبدو أنك لا تتدرب بما فيه الكفاية يا (شيفى) ؛ فقد انحرفت إحدى طلقاتك بوصتين عن موقع القلب ، فى جسد ذلك الرجل .

قال الشاب ، وقد بدت على وجهه ملامح الصرامة ، وفى صوته نبرات القوة :

ـــ أنا مستعد لإعادة هذا التمرين مرة أخرى يا سيّدى ، وسوف ترى أننى لن أخطئ الإصابة ، فهذه هى المرة الأولى التى .....

قاطعه النحيل قائلًا :

ـ لا .. لا داعى لذلك .. ستتوقف منذ الآن عن ممارسة تلك التدريبات ؛ لتبدأ فى القيام بعمل حقيقى .

ارتسمت على شفتى الشاب ابتسامة وحشية ، كشفت عن أسنان غير متساوية ، أضفت على وجهه قسوة غير عادية ، وهو يقول :

ـ أنا سعيد للعودة إلى العمل من جديد يا سيِّدى .

قال النحيل ، وهو يسير إلى جواره ، متجهًا إلى القاعة الداخلية ، بعيدًا عن أرض التدريب :

ـ يجب أن تعرف أننى راهنت عليك ، فى اجتماع هيئة الأمن ، فمهمتك ، التى ستكلَّف إياها ، على درجة عالية من الحساسية والخطورة ، ولا تحتمل أى خطأ .

قال الشاب بثقة وثبات :

اطمئن يا سيِّدى .. لن تكون هناك أية أخطاء .

قال له النحيل ، وهو يتقدَّمه عبر الباب الزجاجى ، المؤدِّى إلى القاعة الداخلية :

ـ حسنًا .. ستكون مستعدًا للسفر خلال يومين على الأكثر .

قال الشاب ، وهو يدلف عبر الباب خلفه :

ـ إلى أين يا سيِّدى ؟

قال النحيل ، وهو يسير عبر الممر الطويل ، الذى يقود إلى غرفته فى حسم وشراسة :

ـ إلى (مصر) .

وبدأت المهمة .

* * *



٢ ـ لعبة الموت ..

توقَّفت السيارة ، التى تقلّ عالِم الصواريخ الألمانى (كروس) أمام باب الفيلا المخصَّصة لإقامته فى (مصر) ، وهبط هو منها ، يصحبه اثنان من رجال الحراسة المكلّفين حمايته ، وودّعهما الرجل ، ثم دلف إلى الداخل ، فى حين اتخذ كل منهما موقعه حول الفيلا ، ومعهما شخص ثالث ، بقى واقفًا أمام الباب الداخلى ..

ومن بين الأشجار القائمة فى حديقة الفيلا ، أطلّ وجه رجل ملثم ، يحمل فى يده سكينًا ذا نصل لامع ، وما أن اقترب أحد رجال الحراسة من موقع الرجل الملثم ، حتى قام الرجل بمهاجمته من الخلف ، واضعًا إحدى يديه على فم الحارس ؛ ليمنعه من إصدار أى صوت ، على حين دفعت يده الأخرى نصل السكين الحاد لتغمده فى ظهره ، إلى أن خر الحارس صريعًا ، فجذبه الملثم بين الأشجار ، ملقيًا به على الأرض ، ثم أخذ يزحف ، حتى وصل إلى الحارس الثانى ، الذى كان يستند



فجذبه الملثَّم بين الأشجار ، ملقيًا به على الأرض ، ثم أخذ يزحف ، حتى وصل إلى الحارس الثانى ..

بأحد كتفيه إلى جدار الفيلا الخارجى ، فانقض عليه من الخلف ، وهو يلف حول عنقه حبلًا من السلك المجدول ، أخذ يضغط به بقوة على قصبته الهوائية ، فتحشرج صوت الرجل ، وفغر فاه ، ليتدلى لسانه إلى الخارج ، ثم لم يلبث أن هوى على الأرض مختنقًا ..

واندفع الرجل الملثم يتسلّق جدار الفيلا ، باستخدام خطافات معدنية ، حتى وصل إلى إحدى النوافذ المفتوحة ، فتسلّل منها إلى الداخل ، ودخل إلى غرفة العالم الألمانى ، الذى كان يستعد للنوم ، ولم يكد العالم يراه ، حتى أصيب بالهلع ، وهو يصرخ قائلًا :

— من أنت ؟

ولكن الرجل الملثم لم يمهله ، إذ سُرعان ما تناول مسدسه ، الذى كان يتدلّى على أحد جانبيه ، وتناول إحدى الوسائد باليد الأخرى ، ليضعها على وجه العالم الألمانى ، وضغط الزناد ، لتخترق الرصاصة الوسادة إلى رأس العالم الألمانى مباشرة ، بعد أن كتمت الحشايا القطنية صوت الطلقة ، فخر العالم الألمانى جثة هامدة ، ونزع الرجل لثامه ، فبدا ذلك الشاب المفتول

العضلات ، الذى كلّفه مدير المخابرات الاسترتانى التوجه إلى (القاهرة) ..

شيفى ..

* * *

فى أحد المطاعم ، التى تتوسط العاصمة ، جلس ذلك العميل المحترف يتناول طعامه فى هدوء ، وكأنه لم يقترف أى جرم منذ عدة أيام ، ثم لم يلبث أن تحول بوجهه نحو الباب الخارجى ، وهو يراقب ذلك الرجل ، الذى يدخل إلى المطعم ، فى صحبة أحد الأشخاص ، والذى جلس إلى مائدة قريبة منه ..

وأخرج الشاب علبة سجائره ، ليتناول منها سيجارة ، أشعلها لنفسه ، ثم ألقى نظرة سريعة حوله ، ليتأكد من أن أحدًا لا يراقبه ، ثم ألقى علبة السجائر أسفل المائدة خلسة ، بعد أن أسدل عليها مفرش المائدة ؛ حتى لا يلمحها أحد ، ثم نادى (المترودتيل)، ليحاسبه على ثمن ما تناوله من طعام، وبعدها غادر المطعم ، فى اللحظة التى كان فيها الطعام يُقدَّم إلى الرجل ، الذى كان يراقبه منذ قليل ..

وجلس (شيفى) فى سيارته المواجهة للمطعم عند الإفريز

المقابل ، ثم ضغط زر جهاز صغير فى يده ، لتنفجر علبة السجائر ، التى لم تكن فى حقيقتها سوى قنبلة أليكترونية صغيرة ، شديدة الانفجار ، يتم التحكّم فى تفجيرها عن بعد .

وأطاح الانفجار بواجهة المطعم ، وعدة موائد مجاورة للمائدة التى كان يجلس إليها (شيفى) ، وعدد كبير من رواد المطعم ، من بينهم ذلك الرجل ، الذى كان موضعًا لمراقبة (شيفى) ، والذى لم يكن سوى أحد العلماء الألمان ، المشاركين فى مشروع الصواريخ المصرية ، ومن كان بصحبته ، فى حين ابتسم (شيفى) وهو جالس فى سيارته ، يراقب حالة الهلع والذعر ، التى أصابت كل من ارتاد المنطقة فى تلك اللحظة ، كاشفًا عن أسنانه غير المتساوية ، والتى تنمّ عن شراسته وقسوته ، قائلًا لنفسه :

ـــ هذا هو الثانى .

ثم انطلق بالسيارة ..

* * *

وقف (ممدوح) أمام حوض السباحة ، الذى يسبح به أحد حيوانات الدلفين ، وقد أخذ يؤدى بعض الحركات الاستعراضية المثيرة ، بوساطة مدربه ، الذى يشير إليه

إشارات معينة ، لينطلق على أثرها من الماء ، قافزًا فى الهواء إلى الأمام . وإلى الخلف ، فى مهارة عالية ..

وفى تلك اللحظة اقترب من (ممدوح) رجل قصير القامة ، بدين الجسد ، يبدو وجهه منتفخًا كالبالون ، وعلى وجهه ابتسامة طفولية ، وقال فى هدوء :

ـــ ما رأيك فى دولفينى المدرَّب يا مسيو (ممدوح) ؟

قال (ممدوح) ، وهو يراقب الحركات الاستعراضية للدولفين :

ـــ مدهش ..أعتقد أن الفضل فى هذا يرجع إلى المدرِّب .

قال البدين ، وهو يراقب الدولفين بدوره :

ـــ إلى حد ما .. ولكن (فيكى) (اسم الدولفين) يتميَّز بذكاء لا يقارن بالدلافين الأخرى .

قال (ممدوح) ، وقد حوَّل نظره عن حوض السباحة والدولفين :

ـــ الآن ماذا قلت يا مسيو (ريمون) ، بشأن الأوراق التى لديك ؟

تبدَّلت قسمات الرجل ، حيث اكتست بملامح غاضبة ، سُرعان ما تغلَّب عليها ، ليعود إلى ابتسامته الطفولية مرة أخرى ، وقد بدت مصطنعة هذه المرة ، وهو يقول :

— آه !! الأوراق .. سأقدمها لك بالطبع .. ولكن ألا تشاهد العرض حتى نهايته أولًا ؟

قال (ممدوح) ، دون أن يحوّل عينيه عن وجه الرجل :

— فى الواقع لقد مللت هذا العرض يا عزيزى ، وأريد أن نبدأ الآن فى العمل الجاد .

قال الرجل :

— حسنًا .. سأحضر لك الأوراق التى تريدها .. ما رأيك فى أن تقدم بعض الطعام لـ (فيكى) حتى أحضرها لك ؟

ثم أشار إلى المدرب ، قائلًا :

— (جورج) دعه يشاركك فى إطعام (فيكى) .

قدّم المدرِّب لـ (ممدوح) دلوًا يمتلىء بالأسماك الصغيرة ، قائلًا :

— شهيتها مفتوحة اليوم .

تناول (ممدوح) بعض الأسماك الصغيرة ، ليلقى بها للدولفين ، الذى فتح فمه على اتساعه ؛ ليبتلع الأسماك ، فى حين توقَّف البدين على بعد خطوات من منزله المجاور ، لحوض السباحة ، وتناول جهازًا صغيرًا فى حجم جهاز اللاسلكى ،

وضغط على أحد أزراره ، فى الحال تحرّكت حافة حوض السباحة فجأة ، فى البقعة التى يقف فوقها (ممدوح) ، إلى الخلف فى حركة سريعة ، ووجد (ممدوح) نفسه يغوص فى الماء ، فى حين أطلق المدرِّب عدة صفارات ، غاص على أثرها الدولفين ، حيث تحرّكت شبكة معدنية فى أحد جدران حوض السباحة ، لينفذ الدولفين عبرها إلى الداخل ، فى الفجوة التى تقع خلف الشبكة المعدنية ، فى حين تحركت إحدى الشبكات المعدنية الأخرى فى نفس الجدار ، لتندفع منها سمكة قرش ضخمة ، وقد كشفت عن أسنانها الحادة .. وضغط الرجل على زر آخر فى جهازه الإلكترونى ، فتحرك غطاء معدنى ليغطى حوض السباحة تمامًا ، وفى أعماقه (ممدوح) وسمكة القرش المتوحشة ، ووجد (ممدوح) نفسه فى الماء ، فى مواجهة سمكة القرش ، وهو مقبل على مواجهة أحد مصيرين : إما الموت ممزقًا بين أسنان هذا القرش القاتل ، أو الموت غرقًا فى حوض السباحة ، بعد أن أصبح مغلقًا فوقه كالصندوق ، وفى هذه الحالة فمصيره أيضًا سيكون التحوّل إلى أشلاء ، بوساطة ذلك الفك المفترس ، بعد موته غرقًا ..

واندفع (ممدوح) يسبح فى اتجاه تلك الفجوة ، فى جدار

الحوض ، التى اندفعت منها سمكة القرش ، فى حين أخذ القرش يدور حوله ، متأهبًا للإطباق بأسنانه على جسده ..

وواصل (ممدوح) سباحته سريعًا ، والقرش فى أعقابه ، حتى استطاع أن ينفذ عبر هذه الفجوة الصغيرة ، الموجودة فى الجدار ، وقبض على الشبكة المعدنية ذات الحواف المدببة ، محاولًا زحزحتها من مكانها ؛ لإغلاق الفجوة عليه ، قبل أن تصله أسنان القرش المفترس ، ولكنه وجد صعوبة فى زحزحتها من مكانها ، وناضل (ممدوح) فى دفع الشبكة المعدنية جانبًا ، على الرغم من شعوره بصعوبة التنفس ، بعد أن بدأت كمية الأكسجين فى رئتيه فى النفاد ، وفى تلك اللحظة كانت سمكة القرش قد دفعت رأسها داخل الفجوة ، فى اللحظة التى نجح فيها (ممدوح) فى زحزحة الشبكة جانبًا ، ليدفع حوافها الحادة المدبَّبة لتخترق رأس سمكة القرش المتوحشة ، وأغلق (ممدوح) الشبكة المعدنية ، ذات الحواف المدببة ، على رأس الفك المفترس ، الذى تفجَّرت منه الدماء ، لتختلط بمياه الحوض ، فى حين واصل (ممدوح) سباحته داخل الفجوة ، باحثًا عن منفذ ، حتى وجد كوة صغيرة ، مغلقة بباب اسطوانى معدنى ، به عجلة معدنية دائرية ، وجاهد (ممدوح) ، بما تبقَّى فى

رئتيه من هواء ، لإدارة العجلة المعدنية فى حركة عكسية ، تمكن على أثرها من فتح باب الكوة ، ثم سبح عبرها إلى حوض سباحة آخر ، كان دون غطاء معدنى ، واندفع يسبح إلى أعلى ، بكل مالديه من تشبث بالحياة وإصرار على البقاء ؛ ليدفع رأسه فوق سطح المياه ، ويأخذ نفسًا عميقًا محاولًا الحصول على أكبر قدر من الأكسوجين ، الذى استنفذته رئتاه ، وسبح حتى وصل إلى حافة الحوض ، ثم صعد متخذًا طريقه بين الأشجار المحيطة بالحوض ، حتى وصل إلى ڤيلا (ريمون) ، وسُرعان ما وثب إلى الشرفة ، ثم كشف عن فجوة صغيرة بين الستائر المعدنية ، التى تغطى الضلفة المفتوحة للشرفة ، حيث رأى (ريمون) وهو يقدِّم مجموعة من الأوراق لأحد الأشخاص ، قائلًا :

ــ هذه هى الأوراق السرية ، الخاصة بالسفارة المصرية فى (باريس) .. لقد حاول أحد العملاء المصريين مساومتى عليها ، ولكننى تخلَّصت منه ، وسوف أضيف تكاليف موته على المبلغ المتفق عليه بيننا ..

قال الرجل معترضًا :

ــ لقد اتفقنا على المبلغ من قبل يا مسيو (ريمون) ، ولن ندفع أية زيادة .

قال (ريمون) ، وهو يتوقف عن تقديم بقية المستندات والأوراق :

— إذن فلن تحصل على الأوراق المطلوبة ، وهناك من هو مستعد لدفع ثمن أعلى .

قال الرجل مترددًا :

— ولكننا لا ندفع ثمن قتلك الآخرين فهذا أمر يخصّك وحدك ، فأنت المكلَّف بالمحافظة على تلك الأوراق ، وتقديمها لنا ؛ لتحصل على ثمنها .

قال (ريمون) ، وهو يحدجه بنظرة فاحصة .

— الأمر لا يخصّنى وحدى كما تعتقد ، بل يخصّكم أيضًا ، خاصة عندما تعرف اسم العميل ، الذى قتلته .

قال الرجل بلا مبالاة :

— حسنًا .. ومن يكون ذلك العميل ؟

قال (ريمون) مبتسمًا :

— (ممدوح عبد الوهاب) .. المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) ، من المكتب رقم (١٩) .

تحوَّل إليه الرجل بدهشة ، قائلًا :

— من ؟

وفى تلك اللحظة اقتحم (ممدوح) الحجرة ، وعلى وجهه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

— لماذا لا تدعنى أقـــدم له نفسى يا (ريمون) ، دون وساطتك ؟

وفى تلك اللحظة ، تحول إليه الرجلان ، وقد ظهرت على وجهيهما آثار المفاجأة ، التى أحدثها اقتحام (ممدوح) للحجرة ، وقبل أن يتغلب الرجلان على المفاجأة ، كان (ممدوح) قد تعلّق بالسلسلة المعدنية ، للثريا ، التى تتوسَّط الغرفة ، وهو يتأرجح بها إلى الخلف ، ثم إلى الأمام ، دافعًا قدميه فى وجهى الرجلين ،ليطيح بهما إلى الوراء ، فاصطدم رأس أحدهما بالجدار ، فى حين اصطدم الآخر بأحد المقاعد فتعثَّر به ، وسقط على الأرض ..

وبمرونة غير عادية ، تمكن (ممدوح) من توجيه ضربة أخرى بإحدى قدميه ، بعد أن استقرّ على الأرض ، إلى المسدس الذى حاول (ريمون) استخدامه ، فأطاح به ، ثم دار حول نفسه ، ليسدِّد ضربة أخرى بإحدى قدميه ، إلى وجه (ريمون) ، دفعته نحو الجدار مرة أخرى ، وبخفة ورشاقة التقط

المسدس الملقى على الأرض ، ثم تراجع إلى الوراء خطوتين ، وهو يشهره فى وجهيهما قائلًا :

ــ والآن ما رأيكما فى أن أنوب عنكما ، فى الاستحواذ على تلك الأوراق والمستندات ، وبذلك نعيد الحق لأصحابه ؟

قال (ريمون) محنقًا :

ــ ولكن .. ولكن كيف نجوت ؟

قال (ممدوح)ساخرًا ، وهو يجمع الأوراق الموضوعة على المكتب ، دون أن يحوِّل عينيه عنهما :

ــ ألم يخبرك أحد أن لدى سبعة أرواح ؟ على كل حال لقد تركت سمكتك القاتلة فى حالة طازجة ، داخل مياه الحوض ، ويمكنك أن تشويها لتستفيد من لحمها لو أردت .

قال ذلك وهو يتراجع إلى الوراء ، فى اتجاه الشرفة ، والمسدس لا يزال فى يده ، بعد أن استحوذ على الأوراق ، التى جاء للبحث عنها ، ثم نادى عليهما قائلًا :

ــ والآن استديرا وارفعا أيديكمَا عاليًا ، ثم تحرّكا فى اتجاهي ، دون محاولة الالتفات إلىّ .

نفَّذ الرجلان ما أمرهما به (ممدوح) ، وأخذا يتراجعان إلى الوراء عدة خطوات ، رافعين أيديهما إلى أعلى دون أن يحاولا



وقبل أن يتغلب الرجلان على المفاجأة ، كان (ممدوح) قد تعلَّق بالسلسلة المعدنية ، للثريا ، التى تتوسَّط الغرفة

الالتفات إليه ، فقد بدا (ممدوح) صارمًا فيما يصدره من أوامر ، ثم لم يلبث أن هوى على رأسيهما بمؤخرة المسدّس بضربتين قويتين فسقطا مغشيًا عليهما ، فى حين تسلّل (ممدوح) عبر الشرفة ، عائدًا إلى الجهة التى أتى منها ..

لقد أتمّ مهمته ..

أتمّها بنجاح .

* * *

٣ ـ لحظات الخطر ..

قال اللواء (مراد) لـ (ممدوح) ، الذى كان يجلس فى مواجهة مكتبه :

ـ كانت عمليتك فى (باريس) ناجحة للغاية ، فقد أعدنا المستندات للسفارة المصرية فى (فرنسا) ، وأكدّوا لنا أنها كاملة ، لم ينقص منها شىء .. أأنت بحاجة إلى بعض الراحة ؟ أم يمكنك القيام بعملية جديدة ؟

أجابه (ممدوح) :

ـ إننى مستعد لأداء واجبى دائمًا يا سيادة اللواء .

قدّم له اللواء (مراد) مجموعة من الصور ، قائلًا :

ـ حسنًا .. تأمّل هذه الصور ، وقل لى رأيك .

تناول (ممدوح) مجموعة الصور ، التى قدّمها له اللواء (مراد) ، وأخذ يقلبها بين يديه .. كانت مجموعة صور لعدد من الشخصيات المختلفة ، مما جعل (ممدوح)يقول فى حيرة ، وهو يضع الصور أمامه على المكتب :

ـــ لا أعرف أى رأى تريد أن تسمعه منى ، بشأن هذه الصور .

نهض اللواء (مراد) من خلف مكتبه ، ليدور حوله قائلًا :

ـــ هذه الشخصيات المختلفة ، التى تراها فى الصور الموجودة بين يديك ، هى لشخص واحد فقط .

عاد (ممدوح) يتأمّل الصور جيّدًا ، ثم قال :

ـــ إذن فهو شخص بارع فى التنكّر .

قال اللواء (مراد) :

ـــ تمامًا .. وهو بالإضافة إلى ذلك عميل محترف ، جنّدته المخابرات الاسترتانية لهدف محدود ، جاء من أجله إلى (القاهرة) .

قال (ممدوح) :

ـــ يبدو أن الصراع بيننا وبين الاسترتانيين لن يتوقف ، على الرغم من خسائرهم السابقة .

ردّ اللواء (مراد) ، قائلًا :

ـــ إنه صراع أبدى ، يسعون من خلاله إلى أن يكونوا متفوقين علينا دائمًا ، خاصة فى المجال العسكرى ؛ ومن أجل هذا أرسلوا عميلهم (شيفى) لإرهاب مجموعة من العلماء

الألمان ، الذين يعملون مع علمائنا ، فى مشروع لإنتاج الصواريخ المتوسطة المدى ، المعروفة باسم (صواريخ طيبة) ، والهدف من وراء ذلك بالطبع هو إيقاف العمل فى برنامج إنتاج الصواريخ ، قبل أن نستفيد من خبرة الألمان فى هذا الشأن .

قال (ممدوح) :

ـــ إذن فتلك الحوادث ، التى تعرض لها ثلاثة من الألمان أخيرًا .....

قاطعه اللواء (مراد) :

ـــ نعم .. إنهم يعملون ضمن فريق العمل ، المكلّف إنتاج برنامج (صواريخ طيبة) ، والثلاثة تعرّضوا لعمليات اغتيال نُفّذت بدقة ، بوساطة العميل الاسترتانى (شيفى) ، دون أن نتمكن من أن نضع أيدينا عليه ، فكما قلت لك : إنه عميل محترف بكل معنى الكلمة ، وبارع فى أدائه لعمله ، على نحو يجعل من الصعب الإيقاع به .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ وأنا أهوى مطاردة ذلك النوع الصعب من القتلة .

اللواء (مراد) :

ـــ ليس الأمر بمثل السهولة التى تتصوّرها .

ممدوح :

ـــ أعلم هذا ، منذ متى كان عملنا سهلاً ؟ فأنا لا أستهين بخطورة ذلك العميل ، ولكننى أقرّر أننى لن أدعه يفلت بجرائمه .

عاد اللواء (مراد) للجلوس أمام مكتبه ، قائلاً :

ـــ (شيفى) بارع فى فن التنكّر ، كما أخبرتك ، والمعلومات التى وصلتنا عن طريق مصادرنا فى (استرتان) تؤكد أنه وصل إلى (مصر) منذ أسبوعين ، وفى خلال هذين الأسبوعين تمكّن من اغتيال ثلاثة من علماء الصواريخ الألمان ، دون أن نعثر له على أثر ، وهو مُصِر على متابعة مهمته ، على الرغم من اجراءات الأمن المشدّدة ، التى اتخذناها حيال باقى العلماء الألمان ، الذين بدأوا يشعرون بالقلق بالفعل ، والبعض منهم بدأ يفكّر فى مغادرة (مصر) ، وخاصة بعد خطابات التهديد ، التى وصلتهم بطريقة غير مباشرة ، بوساطة الاسترتانيين ، ينذرونهم فيها بالرحيل عن (مصر) ، والتوقف عن المساعدة فى برنامج الصواريخ ، وإلا يلقوا نفس مصير زملائهم .. أى أن المهمة التى كُلّف إياها (شيفى) ستظل قائمة ، ما دام هؤلاء العلماء أحياء ، يعملون فى (مصر) ، ولن تنتهى إلا بموتهم ، أو رحيلهم عن بلادنا .

أكمل (ممدوح) :

ـــ ما لم نضع أيدينا على (شيفى) هذا .

اللواء (مراد) :

ـــ تمامًا .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. ما دامت هذه المهمة قد أصبحت تخصنى ، وما دمت سيادتك قد كلفتنى إياها فاسمح لى أن أمارسها بطريقتى .

نظر إليه اللواء (مراد) بدهشة ، قائلاً :

ـــ ماذا تعنى ؟

ممدوح :

ـــ أعنى أن نبدأ فى التخفيف من احتياطات الأمن المشدّدة ، المتخذة حيال مجموعة العلماء الألمان ، العاملين فى مشروع إنتاج الصواريخ ، أو البعض منهم على الأقل .

قال اللواء (مراد) ، معترضًا :

ـــ هذا يعنى أننا نسلّمهم للموت بأيدينا ، فهذا العميل الاسترتانى لديه وسائل متعدّدة ، للتغلّب على العديد من إجراءات ووسائل الأمن المعقّدة ، فى سبيل الوصول إلى هدفه .. فكيف لو ألغينا هذه الاحتياطات ؟!

ممدوح :

ـ أنا لا أتحدث عن إلغائها ، بل أقول : التخفيف منها ، وأنا أهدف من وراء ذلك إلى إغراء الذئب على التسلل إلى مزرعة الدواجن ، حتى يسهل اقتناصه .

اللواء (مراد) :

ـ الذئب الذى تتحدث عنه ليس ساذجًا ، لكى يقع فى تلك المصيدة ، التى تنوى نصبها له ، بهذه السهولة التى تتصوّرها .

ممدوح :

ـ أعلم أنه ليس ساذجًا ، لذا طلبت عدم إلغاء إجراءات الأمن تمامًا ، بل تخفيفها فقط ، حتى لا يتصور أننا نقدم له طُعمًا لاصطياده .

اللواء (مراد) :

ـ ولكن هذه مخاطرة كبرى .

ممدوح :

ـ علينا ألا نخشى المخاطرة ، ما دمنا نريد أن نتخلص من هذا الذئب نهائيًّا ، وأن نجعله يدفع ثمن جرائمه ، التى ارتكبها على أرضنا .

اللواء (مراد) :

ـ هذا يتطلّب موافقة جهات عليا .

ممدوح :

ـ احصل على هذه الموافقة يا سيّدى وسوف أتحمل النتائج على عاتقى .. كلّها ..

* * *

جلس (ممدوح)متنكّرًا على مقربة من العالم الألمانى (فرانز) فى مدرّج التنس بنادى (الجزيرة) ، يتابعان إحدى المباريات فى بطولة (مصر) الدولية ، حيث كان العالم الألمانى من الشغوفين بهذه الرياضة ، والواقع أن (ممدوح) لم يكن منصرفًا باهتمامه إلى المباراة ، التى تدور أمامه ، بقدر انصرافه إلى مراقبة العالم الألمانى ، ومتابعة الأشخاص المحيطين به ، وكان الحارس المكلف حماية العالم الألمانى جالسًا إلى جواره تمامًا ، وقد انشغل بدوره بمراقبة المحيطين بهما ..

ومرّت أكثر من ساعة ، دون أن يبدو أى احتمال لحدوث أمر مثير ، وبدأ (ممدوح) ينزع منظاره الشمسى ، وهو يفرك عينيه فى ملل ، فحتى مباراة التنس ذاتها على الرغم من شهرة لاعبيها ، لم تكن على المستوى الذى يجذب الاهتمام ، ولكن

اقتراب حد الأشخاص من المقعد الجالس عليه العالم الألمانى ، وهو يشق لنفسه طريقًا فى المدرج المزدحم وعيناه مركزتان عليه ، جعل (ممدوح) يستعيد اهتمامه بالموقف ، وازداد الرجل اقترابًا من العالم الألمانى ، وهو يركز النظر عليه ، وقد وضع يده فى جيبه ، مما استرعى انتباه حارسه أيضًا ، وسرعان ما أخرج من جيبه شيئًا ، دفعه فى اتجاه العالم الألمانى فى سرعة ، ولكن فى تلك اللحظة انقضّ الحارس ، ليقبض على يد الرجل ، قبل أن يصل ذلك الشىء إلى صدر العالم الألمانى ، الذى تراجع برأسه إلى الوراء مذعورًا ، وصوّب الحارس مسدسه إلى الرجل ، هاتفًا :

— ألق بهذا الشىء على الأرض .. ألقه فورًا ، وإلا أطلقت عليك الرصاص .

وانطلقت صراخات المشاهدين .. وعمت الفوضى المكان .

كل المكان .

* * *

٤ — حركة تمويه ..

تحرّك (ممدوح) من مكانه ، وهو يقفز المدرجات ، متجهًا إلى المدرّج الذى يوجد به العالم الألمانى ، وقد أخرج مسدسه بدوره ، وتحرّك معه أحد المكلفين حماية العالم الألمانى ، ولكنهم أصيبوا جميعًا بخيبة أمل ، عندما وجدوا ذلك الرجل ، الذى ظنوه سيعتدى على العالم الألمانى ، وهو يرتجف من شدة الخوف والاضطراب ، من أثر هذه التطورات المفاجئة ، فى حين لم يكن ذلك الشىء ، الذى حاول تقديمه للعالم الألمانى سوى خطاب صغير ، لا يستحق كل تلك الزوبعة ..

وقرأ (ممدوح) الخطاب فوجده لا يحتوى إلا على كلمة واحدة وهى : « مع تحياتى » (شيفى)

قال (ممدوح) فى دهشة :

— ما معنى هذا ؟

أجابه الرجل بصوت مرتعش ، وهو يشير إلى العالم الألمانى :

— لقد طلب منى أحد الأشخاص أن أعطى هذا الخطاب



أصيبوا جميعًا بخيبة أمل ، عندما وجدوا ذلك الرجل ، الذى ظنوه سيعتدى على العالم الألمانى ، وهو يرتجف من شدة الخوف ..

لذلك الرجل ، ولم أكن أعلم أن الأمر سيثير كل هذا الاضطراب .

ممدوح :

— ولماذا اختارك ذلك الشخص بالذات لتسليم الخطاب ؟

أجابه الرجل ، وهو لا يزال واقعًا تحت تأثير خوفه :

— لا أعرف .. ولكنه منحنى عشرين جنيهًا ، فى مقابل القيام بهذه الخدمة البسيطة ، لذا لم أتردَّد فى الموافقة ..

ممدوح :

— وأين هو ذلك الرجل ؟ هل تستطيع أن تشير لنا إليه ؟

قال الرجل :

— نعم .. بالطبع .. لكن قل لهذا الرجل : أن يترك ذراعى أوّلًا .

أشار (ممدوح) للرجل القابض على ذراعه ، من المكلَّفين حماية العالم الألمانى ، أن يتركه ففعل ، ونظر الرجل فى أحد المدرجات لكى يشير إلى هذا الرجل المزعوم ، الذى سلمه الخطاب ، ولكنه عاد يقول والحيرة فى عينيه .

— هذا أمر غريب .. إنه لم يعد هناك .

قال الحارس المكلف حماية العالم الألمانى :

— هذا الرجل يحاول خداعنا .

قال (ممدوح) فى مرارة :

— ربما .. استمر أنت فى حراسة العالم الألمانى ، وعد به إلى مسكنه .

وأشار إلى الآخر ، قائلًا :

— أما أنت فاصحب ذلك الرجل إلى إدارة التحقيقات ، بالمكتب (١٩) ، لتتولى عملية التحقيق معه .

قال العالم الألمانى محتجًا :

— ولكننى أريد متابعة مباراة التنس .

ممدوح :

— ستتابعها فى (التليفزيون) ، سيكون هذا أفضل من بقائك هنا ، فقد كُشِف أمرنا .

غادر (ممدوح) المدرَّج ، وسط نظرات الدهشة فى عيون المشاهدين ، الذين تحوّلوا تمامًا عن مباراة التنس ، إلى مشاهدة هذه الأحداث المثيرة ، التى لم يفهموا مغزاها ، فى حين عاد (ممدوح) يردّد لنفسه تلك الكلمة الأخيرة ، التى قالها :

— نعم .. لقد كُشِف أمرنا جميعًا .

وفجأة هتف وهو يستدير :

— نعم .. كيف لم أنتبه إلى هذا من قبل ؟

ربما كان هذا الرجل صادقًا ، فى كل ما قاله ، ولا علاقة له بالأمر .. لقد كان هذا هو مقصد (شيفى) منذ البداية .. أن يكشف الأشخاص المكلفين حماية العالم الألمانى ، فلم يكن من السذاجة بحيث يخاطر باقتحام المدرجات ، إلى مكان العالم الألمانى ، بقصد إحداث الضرر ، أو حتى السخرية ، بتسليم ذلك الخطاب ، والمؤكد أنه استخدم ذلك الرجل بهذه الطريقة ؛ لأنه كان يعرف أن اقترابه من العالم الألمانى ، ومحاولته تقديم ذلك الخطاب له ، كان سيستتبع تحرّك كل الأشخاص المكلفين حمايته دفعة واحدة ، فى اتجاه المدرج ، وقد شهر كل منهم سلاحه ، وبذلك يتسنى له تحديد هؤلاء الأشخاص وعددهم ، حتى يكون مستعدًا لتوجيه ضربته الحقيقية ، فهو لم ينخدع بوجود حارس واحد إلى جوار العالم الألمانى ، ولكنه أراد تحديد الأفراد السريّين المكلفين حمايته ، بهذه الحيلة الماكرة والبسيطة فى آن واحد ، دون أن يكشف عن نفسه ، وهذا يدل على أنه محترف .. وذكى بالفعل ، ولكن رغبته فى تحديد الأشخاص المكلفين حماية العالم الألمانى ، فى مدرجات التنس ،

فى هذا الوقت بالتحديد ، تعنى أنه لن ينتظر لتنفيذ جريمته فى مكان آخر ، حينما يكون هناك استعداد آخر ، ونظام مختلف لحماية العالم الألمانى ، وإنما هو يريد تنفيذها الآن ، بعد أن استطاع تحديد خصومه .

ووثب (ممدوح)فوق درجات السلم القريب من المدرَّج ، محاولًا اللحاق بالعالم الألمانى وحارسه ، بعد أن تأكد له مدى الخطورة ، التى أصبح يتعرض لها الآن ، فقد قام زميله باصطحاب ذلك الرجل ، الذى استخدمه (شيفى) كطعم ، إلى إدارة العمليات الخاصة ، وهو كان سينشغل بالبحث عن (شيفى) داخل المدرجات ، فى حين لا يوجد أحد فى صحبة العالم الألمانى ، سوى ذلك الحارس الذى سيصحبه إلى منزله ، بعد أن أصرّ (ممدوح) بنفسه على تخفيف احتياطات الأمن ، وهذا يعنى أن ذلك العميل القاتل سيستعد لتنفيذ ضربته ، قبل أن يصل العالم الألمانى إلى منزله ، بعد أن يتخلّص من الحارس الذى يصحبه ، وربما هو يستعد لتنفيذ ضربته الآن .

وصرخ (ممدوح) على الحارس ، قبل أن يفتح باب السيارة :

ــ انتظر .

نظر إليه الحارس بدهشة ، قائلًا :

ــ سيادة المقدَّم ؟!.. ماذا حدث ؟

قال (ممدوح) :

ــ لا تركب هذه السيارة .. خذ سيارتى .

نظر إليه العالم الألمانى فى دهشة ، وقال :

ــ لماذا يا مستر (ممدوح) ؟

ممدوح :

ــ نحن لا ندرى أية معالجة يمكن أن تكون قد أُجريت لهذه السيارة .

وفى تلك اللحظة اقترب أحد الأشخاص من الموقع الذى يقف فيه (ممدوح) ، مع العالم الألمانى والحارس ، وهو يقود إحدى دراجات السباق ، مرتديًا الملابس الرياضية ، ويضع فوق رأسه قبعة صغيرة ، من ذلك النوع الذى يستخدمه الرياضيون فى سباق الدراجات ، ليقيهم أشعة الشمس ، ولاحظ (ممدوح) أن راكب الدراجة ينحرف عن الطريق الذى يقود فيه دراجته متجهًا نحوهم ، وانتابه إحساس غريزى بالخطر ، وهو يراه يرفع قبعته مبتسمًا ويتظاهر بتحيتهم ، فصرخ فجأة وهو يدفع رأسيهما إلى أسفل :

ــ اخفضا رأسيكما .

ولم يكد يفعل ، حتى كان راكب الدراجة قد قذف بقبعته فى اتجاههم ، وعلى وجه التحديد فى اتجاه العالم الألمانى ، الذى مرت القبعة فوق رأسه تمامًا ، فى اللحظة التى دفعه فيها (ممدوح) إلى أسفل ، محدثة صريرًا فى الهواء ..

ورفع (ممدوح) رأسه ، ليجد القبعة وقد غرزت حوافها فى غطاء السيارة العلوى ، وهى تهتز بشدة ، ونظر العالم الألمانى وحارسه بدورهما إلى القبعة العجيبة ، وقد أصابهما الوجوم ، ومدّ (ممدوح) يده ينتزع القبعة من مكانها ، وهو يظهرها لهما ، قائلًا للعالم الألمانى :

إنك محظوظ ، فهذه القبعة مزوّدة فى حوافها بشفرة حادة قاطعة ، إلى درجة أن تنغرز فى الصلب وتشقه شقًا ؛ ولو بقيت رأسك فى مكانها الطبيعى لثانية واحدة ، دون أن أدفعها إلى أسفل ، فأغلب الظن أنك لم تكن لتجدها فوق عنقك فى الثانية التالية .

ارتجف العالم الألمانى ، وهو يتخيل ما كان يمكن أن يحدث له ، لولا تدخل (ممدوح) وقال :

— يا لها من نهاية مروعة ، كانت تنتظرنى !!

قال (ممدوح) للحارس :

— استقل معه سيارة من سيارات الأجرة وعُد به إلى مركز الأبحاث على الفور ، فهناك خطورة من عودته إلى مسكنه الآن ، أما أنا فسوف أستقل سيارتى ، وأبدأ فى مطاردة راكب الدراجة هذا .. إنه العميل الاستراتانى ، الذى نبحث عنه .

قالها وانطلق خلف راكب الدراجة ..

وبدأت المطاردة .

* * *

٥ ــ خطة وهدف ..

تابع (ممدوح) مطاردته للدراجة ، حتى أصبح على مقربة منها ، وأشار لقائدها بالتوقف ، ولكن لم يأبه لإشارة (ممدوح) ، بل زاد من سرعة الدراجة ، محاولاً الإفلات من (ممدوح) ، بعد أن صعد بها فوق إفريز الطريق ، ولم يجد (ممدوح) بدًّا من أن يصعد بسيارته بدوره فوق الإفريز ، وهو ينحرف بها ليقطع عليه الطريق ، ولكن لدهشته الشديدة ، وجد قائد الدراجة وقد انفصل بجزئها العلوى إلى أعلى فى حين هوى جزؤها السفلى على الرصيف ، وظلّ (ممدوح) يحدّق بدهشة فى قائد الدراجة ، وهو يرتفع بجزئها العلوى فى السماء ، وقد برزت منها مضخات هوائية ، تساعد على دفعها إلى أعلى ..

كان من الواضح أن الرجل مجهَّز بوسائل تكنولوجية حديثة ، تساعده على مواجهة مثل تلك المواقف ، ولكن (ممدوح) أمسك مسدسه بكلتا يديه ، محاولاً التصويب فى

اتجاه الرجل ، ولكنه قفز فوق سطح أحد المبانى ، ثم لم يلبث أن غاب عن الأنظار ، فاندفع (ممدوح) داخل المبنى ، واستقلّ المصعد سريعا ، ليصل إلى الدور الأخير ، وأخذ يقفز فى درجات السلم الصغير ، المؤدية إلى سطح المبنى ، وهناك أخذ يتلفت يمينا وشمالاً ، بحثا عن الهارب ، ولكنه لم يجده ، ثم لم يلبث أن لمحه وهو يقفز إلى أحد الأسطح المجاورة ، فأسرع بالقفز خلفه ، وظل يطارده من سطح لآخر وهو يطارد غريمه ، حتى استقر به الأمر فوق سطح لمبنى لا تجاوره مبان أخرى ، فاندفع ليحاصر غريمه فى أحد أركان السطح ، ولكن الرجل عاجله بركلة قوية فى وجهه ، أسالت الدماء من فمه ، وتفادى ركلة أخرى موجّهة إليه ، مسدِّدًا لكمة عنيفة إلى أمعاء خصمه ، وهمّ بتوجيه لكمة أخرى إليه ، ولكن غريمه تفاداها أيضًا ببراعة غير عادية ، مصوِّبًا لكمة أشد عنفًا إلى وجه (ممدوح) ، جعلته يصطدم بحافة السور المحيط بالسطح ، وأعقبها بلكمة تالية ، جعلت جذع (ممدوح) يميل إلى الخارج ، من فوق حافة السور ..

ألقى (ممدوح) نظرة إلى أسفل ، فوجد نفسه يهوى من ارتفاع شاهق ، فتشبّث بعزيمته ، وصدّ لكمة غريمه التالية



وأعقبها بلكمة تالية ، جعلت جذع (ممدوح) يميل إلى الخارج ، من فوق حافة السور

بإحدى يديه ، فى حين استخدم يده الأخرى فى تسديد لكمة إلى فك غريمه ، إلا أن هذا الأخير عاد لمهاجمته فى عنف ، وهو يطبق بيديه على عنقه محاولاً خنقه ..

وقاوم (ممدوح) محاولة الرجل ، فأنشب أظفاره فى وجهه ، يمزّق القناع المطاطى المزيّف ، الذى كان يضعه على وجهه الحقيقى ، كاشفًا عن شخصية (شيفى) ، العميل الاسترتانى ، وسدّد ركلة قوية إلى ساق خصمه ، جعلته يتحرّر من يديه القابضة على عنقه عندما مد يده إلى ساقه صارخًا من الألم ، وأعقب (ممدوح) لكمته بأخرى كالقنبلة فى صدغ غريمه ، أطاحت به إلى حافة السور ، ليتبادلا الأدوار ، وهمّ (ممدوح) بمهاجمته من جديد ، ولكن (شيفى) نزع هوائى تلفاز قريب ، ليوجّه به ضربة قاسية لوجه (ممدوح) ، الذى ترنّح وهو يهوى على حافة السور من جديد ، وحاول أن يستعيد توازنه ، ولكن (شيفى) عاد يسدّد إليه ضربة أشد عنفًا بالهوائى المعدنى ، أطاحت به من فوق السور ليهوى إلى أسفل ..

وكاد (ممدوح) يلقى حتفه ، لولا أن ساق له حظه فى أثناء سقوطه لوحة إعلانية بارزة ، كانت هى أمله الوحيد فى النجاة ، فتشبّث بها بكل قوته ، فى حين سارع (شيفى)

بالهروب من المكان ، بعد أن أيقن من أنه قد تخلّص من (ممدوح) ، أما بطلنا ، فقد أحسّ بجزء من اللوحة المعدنية يكاد يتحطم ، تحت ثقل جسمه ، فكان عليه أن يتصرف سريعًا ، قبل أن تتحطّم اللوحة ، وتنهار به ، فيتحطّم معها جسده ، لذا فقد غامر بالتأرجح قليلاً إلى الوراء ، وهو يعرف أنه بذلك يزيد من زعزعة اللوحة الإعلانية من مكانها ، ولكن لم تكن أمامه وسيلة أخرى ، فهو لن يستطيع أن يبقى على هذا الوضع طويلاً ، واللوحة على وشك الانهيار به ..

وزاد (ممدوح) من تأرجحه إلى الوراء ، ثم مدّ ساقيه إلى الأمام ليثب داخل النافذة المفتوحة أمامه ، والتى كان يفصل بينه وبينها متر واحد ، وجاءت قفزته فى الوقت المناسب ، إذ انفصل الجزء العلوى من اللوحة فى أثناء وثبته وسقطت إلى أسفل ..

واستقرّ (ممدوح) فوق أرضية الغرفة ، التى وثب داخلها ، ثم نهض ليفتح بابها مخترقًا الصالة ، حيث كانت إحدى السيدات منهمكة فى تنظيف المنزل ولم تكد تراه أمامها ، حتى تراجعت إلى الوراء ، وهى تطلق صرخات رعب قوية ، وعبثًا حاول (ممدوح) أن يهدئ من روعها . حتى تجمّع على الأثر

مجموعة من الجيران ، وهم يتساءلون عما حدث ، ولم يجد (ممدوح) بدًا — للتخلص من هذا المأزق — سوى أن يبرز البطاقة التى تدلّ على شخصيته ، وأن يشرح الأمر باختصار ، دون الدخول فى تفاصيل تتعلق بسرية مهمته ، ولكن هذا الوقت الذى احتاجه للشرح كان كافيًا لاختفاء العميل الاسترتانى من المنطقة بأسرها ..

ولربحه تلك الجولة ..

* * *

وضع اللواء (مراد) أحد الأقراص فى فمه ، ثم ارتشف بضعة قطرات من الماء ، من الكوب الموضوع أمامه ، وهو يتطلّع إلى (ممدوح) ، ثم لم يلبث أن قال :

— لقد كدنا نعرّض أحد العلماء الألمان للموت بسبب خطتك إنك لا تدرك أية مسئولية كانت ستقع علينا ، لو نجح ذلك العميل الاسترتانى فى قتل العالم الألمانى .

قال (ممدوح) بهدوء :

— ولكنه اغتال الآخرين ، على الرغم من احتياطات الأمن السابقة .. من الواضح أن ذلك الرجل جاء لهدف محدود ، لن يحيد عنه ، إلا إذا وضعنا أيدينا عليه .

اللواء (مراد) :

ـــ وكيف يتسنى لنا أن نضع أيدينا عليه ؟ إنه يبدو كالزئبق ، لا يمكن الإمساك به ، حتى لو كان فى متناول اليد ، كما أن جعبته لا تفرغ من الحيل والأساليب المبتكرة ، إنه شخص خطير للغاية ، ورؤساؤه يعلمون ذلك ؛ لذا فقد أرسلوه لتنفيذ هذه المهمة ، ولا أخفى عليك .. لقد بدأ بعض العلماء يشعرون بالخوف والقلق بالفعل ، وهم يطلبون الإذن لهم بالرحيل ، والعودة إلى (ألمانيا) ، والمسئولون هنا يبذلون معهم الكثير من الجهد ، لكى يحولوا بينهم وبين ذلك .

ممدوح :

ـــ إذن فقد بدأ مخطط الإسترتانيين يأتى ثماره .

اللواء (مراد) :

ـــ لابد أن نعترف بذلك .. من المؤسف أن هذا المخطط يُنفَّذ بدقة وإحكام ، بوساطة شخص واحد ، دخل إلى بلادنا بمنتهى اليسر والسهولة ، ويتنقَّل داخلها دون أن نعرف كيف نصل إليه ، والأدهى من ذلك أنه يقوم بعمليات اغتيال لأشخاص ، المفروض أنهم تحت حمايتنا ، دون أن نعرف كيف نوقفه ، على الرغم من سمعة أجهزة الأمن المصرية ، المشهود لها بالبراعة .

ممدوح :

ـــ إنه لم يفلت من أيدينا بعد .

قال اللواء (مراد) بضيق :

ـــ أنا لا أريد عبارات إنشائية لا معنى لها ، ما دمنا لم نقض على ذلك الرجل ، أو نلق القبض عليه ، فهذا يعنى أنه يحرز نجاحًا على حسابنا .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. لدى خطة ربما .....

قاطعه اللواء (مراد) :

ـــ على ألا تتضمَّن المخاطرة بأحد العلماء الألمان مرة أخرى ، فإذا تعرَّض أحدهم للخطر على يد ذلك الإسترتانى ، فسوف يعودون إلى بلادهم على الفور ، ويتوقف برنامج إنتاج الصواريخ .

ممدوح

ـــ اطمئن لن تتضمَّن خطتى تعريض أحدهم للخطر ، بل أريد نقلهم مؤقتًا إلى مكان سرى مؤمَّن تمامًا ، حتى أنتهى من مهمتى .

اللواء (مراد) :

ـــ لقد فكرنا فى ذلك بالفعل .. ولكن ما هى خطتك ؟

ممدوح :

ـــ إنها تعتمد على وجود مصدر سرى ، يمد ذلك العميل الإسترتانى بالمعلومات ، سواء أكان عميلًا آخر ، أو خائنًا ، أو أجهزة رصد المعلومات ، أو إحدى وسائل هذا العميل المحترف نفسه .. المهم أن يحصل بوسيلة ما على معلومات ، حول تحركات العلماء الألمان فى بلادنا ، فلا يمكن أن يكون هناك تبرير آخر لملاحقته لهم ، فى المواقع التى يذهبون إليها ، على الرغم من أننا نحيط هذه التحركات بالسرية ؛ لذا لا أريد أن يعرف أحد بحقيقة خطتنا ، سوى أنا وسيادتك فقط .

أنصت اللواء (مراد) باهتمام ، ثم قال :

ـــ اشرح لى خطتك أوَّلًا .

ممدوح :

ـــ إذا كان استنتاجى ، بشأن المعلومات التى تصل إلى (شيفى) صحيحًا ، فهذا يعنى أننا يمكن أن نستفيد من ذلك ، بتسريب معلومات غير حقيقية بشأن العلماء الألمان ، لنضلِّل بها (شيفى) ، وفى نفس الوقت ننصب له الفخ ، الذى يمكِّننا من اصطياده .. لقد اطلعت على البرنامج المعد لتنفيذ مشروع

الصواريخ المصرى ، وعرفت أنه كان هناك تفكير فى البداية ، لإقامة مصنع إنتاج الصواريخ فى أسوان ، بالقرب من الحدود السودانية ، حيث يُنفَّذ المشروع فى سرية ، بعيدًا عن الأنظار ، ولقد أقيم مصنع حربى هناك بالفعل ، من أجل تحقيق هذا الهدف ، ولكن المسئولين عدلوا عن تنفيذ هذا البرنامج هناك ، على الرغم من إقامة المصنع ، وآثروا تنفيذه فى (القاهرة) بعد تخصيص أحد مصانعها الحربية لذلك ، وبعد أن رأوا أنه يمكن توفير احتياطات أمن ، لتنفيذ البرنامج على نحو أفضل فى (القاهرة) عنه فى أسوان .

قال اللواء (مراد) ، مصدقًا على كلامه :

ـــ هذا صحيح .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. ما رأى سيادتك لو قمنا بنقل العلماء الألمان إلى الموقع السابق ، وأن نسعى إلى تسريب معلومات سرية بهذا الشأن ؟

نظر إليه اللواء (مراد) بدهشة ، قائلًا :

ـــ وهل تريد منا أن ننقلهم إلى هناك حقًّا ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

تراجع اللواء (مراد) بمقعده إلى الوراء ، قائلاً :

ــ ما هذا الذى تقوله يا (ممدوح) ؟ ألم تقل أنت نفسك منذ قليل : أن السبب الذى جعلنا نعدل عن تنفيذ ذلك المشروع فى (أسوان) ، هو ضعف احتياطات الأمن ، بالنسبة للإمكانات الموجودة فى (القاهرة) ؟ ومع ذلك فقد عجزنا باستخدام هذه الإمكانات ، عن توفير الحماية الكافية لهم ، واغتيل ثلاثة منهم أمام أعيننا ، وكاد الرابع يلحق بهم ، لولا تدخلك ، ثم تريد منى أن أنقلهم إلى ذلك المكان النائى ، وأن أسرّب أيضًا بنفسى معلومة سرية ، عن نقلهم إلى هناك ؟

ممدوح :

ــ ليتك تسمعنى حتى النهاية يا سيادة اللواء .. إن ما أهدف إليه هو إقناع (شيفى) بأننا نقلنا العلماء الألمان إلى ذلك المكان بالفعل ، فالمخابرات الاسترتانية لديها ــ بلا شك ــ معلومات وافية عن خطة إنتاج الصواريخ ، ومن بين هذه المعلومات الموقع البديل ، الذى اتُفِق عليه مسبقًا ، لذا فسيبدو منطقيًا ومقبولاً ، بعد حوادث الاغتيال ، التى تعرّض لها العلماء الألمان الثلاثة ، أننا لم نعد نطمئن إلى وجودهم فى (القاهرة) وأننا عدنا لتنفيذ خطتنا المسبقة ، بتنفيذ هذا

البرنامج هناك ، خاصة وأن المصنع موجود بالفعل ، مع تخصيص حراسة عسكرية كافية له ، فعميل مثل (شيفى) عميل محترف وذكى ، ولن يسهل إقناعه إلا بهذا .

اللواء (مراد) :

ــ حسنًا .. وماذا بعد ؟

ممدوح :

ــ سنقوم فى (أسوان) بتأكيد المعلومات ، التى سربناها بوسيلة ما .

اللواء (مراد) :

ــ كيف ؟

ممدوح :

ــ مشاجرة مفتعلة ، يقوم بها أحد هؤلاء الألمان ، مع عامل فى فندق أو مطعم فى (أسوان) مثلًا ، أو حادثة صغيرة ، قبل انتقالهم إلى المصنع ، المهم أن يتأكد (شيفى) من وصول العلماء الألمان إلى (أسوان) ، عدا عالم واحد ، فضّل أن يلحق بهم بالقطار بعد سفرهم .

بدا الاهتمام على وجه اللواء (مراد) ، وهو يقول :

ــ هل يعنى هذا أن أحدهم سيسافر بالقطار إلى (أسوان) بمفرده ؟

ممدوح :

ـــ نعم .

قال اللواء (مراد) بلهجة حاسمة :

ـــ هذا مرفوض تمامًا ، فأنت تريد استخدام أحدهم كطعم ؛ لاصطياد ذلك الاسترتانى مرة أخرى ، وقد اتفقنا منذ البداية على ألا نلجأ للمخاطرة ، باستخدام العلماء الألمان ، كوسيلة جذب لإغراء (شيفى) .

ممدوح :

ـــ لكن لن تكون فى الأمر أية مخاطرة ، ذلك أن العالم الألمانى ، الذى سيسافر بالقطار ، سيكون هو أنا .

تطلع إليه اللواء (مراد) بدهشة ، قائلًا :

ـــ أنت ؟. كيف ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـــ سيادة اللواء .. لا تنس أن (شيفى) ليس وحده البارع فى التنكر ، وأن لدينا نحن أيضًا وسائلنا التكنولوجية المتقدّمة فى هذا المجال .

قال اللواء (مراد) :

ـــ هل يعنى هذا أنك تريد ..

أكمل (ممدوح) :

ـــ نعم .. التنكّر فى شخصية أحد العلماء الألمان ، فهذه المرة لن أكون الحارس السرى لأحدهم ، ولكن سأكون أنا الطُعم والصياد فى آن واحد ، وسيكون هناك شخصان مدججان بالسلاح بالطبع لإتقان الدور ، وإقناع (شيفى) بأنه هناك من يتولى حمايتى كعالم ألمانى . له أهميته .

صمت اللواء (مراد) برهة ، ثم قال :

ـــ وهل تظن أن (شيفى) من السذاجة بحيث تنطلى عليه هذه الحيلة ؟.. إنه سيعرف بلاشك أن تخلّف العالم الألمانى عن اللحاق بزملائه ، ولحاقه بهم بوساطة القطار ، ليس سوى فخ منصوب لاصطياده .

ممدوح :

ـــ وهذا هو المقصود .. إن أمثال (شيفى) لديهم من الغرور والثقة المفرطة بالنفس ما يغريهم بممارسة ذلك النوع من العمل الصعب ، فهو يهوى التحدى والمخاطرة ، ويرضيه دائمًا أن ينجح فيما يعجز عنه الآخرون ، لذا كلّفه رؤساؤه تلك المهمة ، التى تُبرز قدراته ، ولذا أيضًا سيدفعه غروره إلى الإقدام على محاولة اغتيال العالم الألمانى فى القطار على الرغم من ثقته فى أنه يقترب بذلك من فخ منصوب له .

عاد اللواء (مراد) لصمته مرة أخرى ، ثم قال :

ــ حسنًا .. أكمل .

ممدوح :

ــ فى الساعات الأخيرة من الليل ، وبعد أن نتأكد أن المعلومات التى سربناها قد تأكَّدت ، وأن وصول العلماء الألمان إلى (أسوان) قد أصبح يقينًا ، ستقوم طائرة خاصة بنقلهم مرة أخرى إلى (القاهرة) ، فى المكـان السرى المؤقت ، والمتفق عليه ، والذى تم تأمينه تأمينا جيِّدا ، وبذلك نكون قد منحنا (شيفى) ومنحنا أنفسنا فرصتين .. فرصة داخل القطار المتجه إلى (أسوان) ، وفرصة أخرى عند المصنع الذى يفترض فيه أنه المكان الوهمى لإقامة وعمل العلماء الألمان ، فإذا لم نتمكَّن من القبض على (شيفى) فى القطار ، أو لو أحجم عن ركوبه لسبب ما ، تبقى لدينا فرصة الإيقاع به فى ذلك الموقع النائى فى (أسوان) ، وسنكون فى نفس الوقت قد حوّلنا انتباهه عن المكان الحقيقى ، الذى أخفينا فيه العلماء الألمان .

وللمرة الثالثة صمت اللواء (مراد) برهة من الوقت ، ثم قال :

ــ خطة جيدة .. ولكن المخاطرة فيها ستكون كبيرة بالنسبة لك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ــ هل نسيت يا سيِّدى أننى أيضًا أهوى المخاطرة ، كما أننى محترف بدورى ، ويُسْعدنى أن ألتقى بمن يحقِّق لى تنافسًا جيِّدًا ؟

وبدا اللواء (مراد) متردِّدًا قليلًا ، وهو يقول :

ــ ولكن هل تضمن ألا يترتَّب على خطتك هذه تعريض أمن الركاب فى القطار للخطر ؟

ممدوح :

ــ سأبذل جهدى .. لكى لا يلحق بأحدهم أدنى خطر ، أو يتخذ منه ذلك الاسترتانى رهينة ، وسأطلب من الشخصين المفترض فيهما أنهما مكلفان حمايتى ، تولّى ذلك الأمر بالنسبة للركاب .

اللواء (مراد) :

ــ حسنًا .. إننى موافق على خطتك ، فلتستعد لتنفيذها واعلم أننى أريد ذلك العميل الاسترتانى حيًا أو ميتًا بأى ثمن .

ممدوح :

ـ اطمئن يا سيادة اللواء .. لقد أخذت هذه المهمة على عاتقى ولن أتوانى حتى يتحقق لها النجاح المنشود ..

وصمت لحظة ، حتى قبل أن يضيف فى حزم :

ـ كل النجاح .

* * *



٦ ـ العدوّ الخفىّ ..

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة على محطة القطار بـ (القاهرة) ، وإلى جواره أحد زميليه ، فى حين صعد الآخر ليسبقه إلى عربة النوم المخصصة له ، بالقطار المتجه إلى (أسوان) ، وبدا له أن الأمور كلها عادية بالمحطة ، فيما عدا العدد الكبير من السائحين ، الذين كانوا يندفعون لصعود القطار ، وهم يمنون أنفسهم برحلة سياحية رائعة إلى (أسوان) ، وأخذ (ممدوح) يتساءل بينه وبين نفسه : تُرى لو كان (شيفى) قد ابتلع الطعم ، وجاء لارتكاب جريمة اغتيال أخرى فى هذا القطار ، فما هى الشخصية التى اتخذها وسيلة للتنكر ؟.. إن وجود هذا العدد الكبير من السائحين فى القطار ، لابد أنه سيمهد له وسيلة جيدة لاتخاذ شخصية سائح انجليزى مثلًا ، أو أمريكى ، أو ربما تنكَّر فى شخصية أحد أفراد هذه المجموعة من الراقصين ، الذين جاءوا من (بلغاريا) ؛ للاشتراك فى مسابقة الرقص الشعبى ، التى

ستقام بعد أسبوع فى (الاسماعيلية) ، فهو بارع فى اتخاذ الشخصية التى يرغبها ، كما أنه يجيد عدة لغات أيضًا مما يتيح له إتقان دوره ..

ونظر (ممدوح) إلى الواجهة الزجاجية القريبة منه فى المحطة ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة رضا ، فهو أيضًا قد أجاد استخدام وسائل التنكر ، إلى الحد الذى أصبح معه قريب الشبه إلى حد بعيد بالعالم الألمانى (فون) ، الذى اختير من بين مجموعة العلماء الألمان ، الذين رحلوا بالطائرة إلى (أسوان) فجر اليوم ؛ ليتخذ شخصيته .

استقل (ممدوح) القطار ، متجهًا إلى العربة المخصصة له ، وبدأ القطار يتحرَّك ، عندما دخل (ممدوح) إلى عربة النوم المحجوزة باسم العالم الألمانى (فون) ليجد زميليه جالسين فى انتظاره داخلها ، بعد أن سبقاه إليها بعدة دقائق مع حقائبه ، وقال لهما (ممدوح) ، وهو ينزع عنه سترته ، ليعلقها على المشجب الموجود داخل العربة :

ـــ كما اتفقنا فيركب أحدكما فى العربة المجاورة عن يمينى والآخر فى العربة المجاورة عن يسارى ، وعليكما أن تكونا منتبهين تمامًا ، وأن تضعا فى اعتبار كما أنه لن تقع عليكما مسئولية

حمايتى ، بقدر مسئوليتكما تجاه حماية ركّاب القطار ، فهى مسئوليتكما الأولى ، إذ يجب ألا يتعرّض أى راكب للخطر ، إذا ما حدثت مواجهة بينى وبين ذلك العميل الاسترتانى .. هل هذا واضح ؟

أجابه الاثنان فى آن واحد :

ـــ واضح يا سيّدى .

فتح (ممدوح) نافذة العربة بعد انصرافهما ، ووقف يتأمّل مشاهد الطبيعة ، التى يمر عليها القطار ، وهو يأخذ نفسًا عميقًا ، حتى سمع الباب يقرع عدة مرات ، فأخذ أهبته ، وأسرع يرتدى السترة ؛ ليخفى المسدس المختفى داخل الجراب الملتف حول إبطه ؛ ولكنه وجد أمامه مفتش القطار ، والذى بادره قائلًا والابتسامة على وجهه :

ـــ عفوًا يا سيّدى .. هل يمكننى أن أطلع على تذكرتك ؟

قدم له (ممدوح) التذكرة ، وهو يتأمّل الممر الممتد خلفه تحسّبًا لوجود أى شخص ، ولكنه لم ير أحدًا ، ومرّت فترة طويلة من الوقت ، دون أن يبدو فى الأفق ما يبعث على القلق ؛ لذا قرّر (ممدوح) مغادرة العربة ، والتوجّه إلى عربة المطعم داخل القطار ؛ ليتناول غذاءه ، وكانت عربة المطعم مليئة



ولكنه وجد أمامه مفتش القطار ، والذى بادره قائلًا والابتسامة على وجهه : ــ عفوًا يا سيِّدى .. هل يمكننى أن أطلع علىٰ تذكرتك ؟

بالسائحين من مختلف الجنسيات ، فأخذ (ممدوح) ينقل بصره بين وجوههم ، وهو يتساءل عما إذا كان (شيفى) يختفى وراء إحدى شخصيات هؤلاء السائحين ، ووجد أمامه فجأة أحد السائحين الأمريكيين ، وقد اقترب منه ليسأله :

ــ هل تسمح لى بالجلوس إلى مائدتك ؟

قال (ممدوح) ، وهو يشير إلى المقعد المواجه :

ــ تفضل .

جلس السائح الأمريكى ، وعلى وجهه ملامح السرور وقال :

ــ آسف .. إذا كنت قد أزعجتك .. ولكن كما ترى فالمكان مزدحم .

ممدوح :

ــ إننى أقدِّر ذلك .

أخذ (ممدوح) يتأمَّله فى تأن ، وهو يتناول طعامه ، متسائلًا عما إذا كان ذلك الرجل هو (شيفى) ، وما إذا كان قد اخترع هذه الحجة ليجلس إلى مائدته ؟

لقد كان يماثله فى الحجم تقريبًا ، وإن بدا أكبر سنًا ، ولكن قد يرجع هذا بالطبع إلى براعته فى استخدام وسائل التنكر ..

ويبدو أن الرجل قد لاحظ نظرات (ممدوح) المسلّطة عليه ، فتطلع إليه باستغراب ، قائلاً :

ـــ عفوًا .. هل هناك شيء ؟

أجابه (ممدوح) :

ـــ كلا .. ولكنك تشبه شخصًا أعرفه .

عاد السائح الأمريكي لتناول طعامه ، دون أن يعلّق بشيء ، فى حين استرعى انتباه (ممدوح) مرور أحد الأشخاص إلى جواره وهو يُلقى نظرة فاحصة على مائدته ..

كان الرجل طويل القامة ، أشقر الشعر ، يرتدى قميصًا رماديًّا مفتوح الصدر ، وقد تدلت على صدره سلسلة ذهبية كبيرة ، ولاحظ (ممدوح) أكتافه العريضة ، المماثلة لاكتاف (شيفى) ، ونظرة عينيه الباردة ، واقترب الرجل منه وهو يشعر أنه ينظر إليه مباشرة ، على الرغم من تظاهره بأنه لا يلحظه ، وانتقلت شكوكه إلى ذلك الرجل ، وداخله إحساس قوى بأنه (شيفى) متنكرًا ، لكن الرجل لم يلبث أن تحوّل عن (ممدوح) ، وهو يستدير ليلتفت خلفه بغتة ، موجِّهًا حديثه إلى السائح الأمريكى ، ويقول بلهجة حادة :

ـــ أنت .. أنت الذى تسبّبت فى تلك الكارثة المالية ، التى حلّت بى ؟

تطلّع إليه السائح الأمريكى فى هدوء ، وهو يرفع عينيه عن الوعاء الموضوع أمامه ، قائلاً :

ـــ هالّو .. (روجر) .. لم أكن أعتقد أننا سنلتقى هنا .

ولكن الرجل عاد يقول بخشونة :

ـــ هل ظننت أنه يمكنك أن تلهو بأموالى التى سرقتها ، وتقوم بجولاتك السياحية على نفقتى ؟

ردّ عليه الرجل ببرود :

ـــ هيا يا (روجر) .. دعك من هذه السخافات ، فأنت تعرف جيّدًا أننى لم أسرق أموالك ، وإنما أنت الذى خسرتها أثناء منافستك لى فى السوق ، وفى دنيا رجال الأعمال الربح والخسارة واردين .. دعك من هذا الهراء ، واجلس لتناول طعامك على نفقتى أنا .

ولكن الرجل ازداد حنقًا ، وكأنما قد أثاره هذا البرود ، الذى يتحدث به إليه السائح الأمريكى ، فقال دون أن يتخلى عن خشونته :

ـــ أنت تعرف أن المنافسة بيننا لم تكن شريفة قط ، وأنك لجأت إلى أساليب قذرة ؛ لتحقق نجاحك على حسابى ، والآن جاء وقت تصفية الحساب . .

كان (ممدوح) حتى هذه اللحظة جالسًا فى هدوء ، ينصت إلى هذه المناقشة الحامية ، التى استرعت انتباه الجميع ، داخل عربة الطعام ، دون أن يحرِّك ساكنًا ، ولكنه لم يستطع منع نفسه من التدخل ، عندما امتدت يد ذلك المدعو (روجر) ، تمسك بتلابيب القميص الذى يرتديه السائح الأمريكى ، لينتزعه من فوق مقعده ، موجِّهًا له لكمة عنيفة ، أطاحت بالرجل ، وألقت به فوق مائــــدة مجاورة ، وسط صراخ السيدات اللاتى فوجئن بهذا المشهد ، واندفع الرجل نحو السائح الأمريكى استعدادًا لتوجيه لكمة أخرى إلى فكه ، ولكن (ممدوح) أمسك قبضته ، قائلًا فى صرامة :

ـــ أعتقد أن هذا يكفى .

ولكن الرجل تحوَّل عن غريمه ، وتملَّكته حالـــة من الشراسة ، لينهال على فك (ممدوح) بلكمة قوية ، تفاداها هذا الأخير بانحناءة سريعة ، وهو يطوِّق خصر الرجل بذراعيه القويتين ، حاملًا إيَّاه إلى أعلى ، ليطيح به خلف ظهره ، ملقيًا إيَّاه أرضًا ، وقد عاد الصراخ يملأ المكان من جديد ..

وعلى الفور تحرَّك زميلا (ممدوح) وقد وضع كل منهما يده على الموضع الذى يختفى تحته مسدسه ، ولكن (ممدوح) انتبه

إلى هذا ، كما انتبه إلى أن استخدام براعته القتالية على هذا النحو لا يتفق مع عمر ومظهر العالم الألمانى ، الذى يتنكر فى شخصيته ، وهذا سيكشفه ويفضح أمره حتمًا ، فأصدر إشارة تحذير سريعة بيده إلى زميليه ؛ كى يتوقفا عن محاولتهما ، فى حين سمح لغريمه ، الذى نهض معاودًا الهجوم عليه من جديد ، أن يدفعه إلى الحائط ، وأن يطبق بيديه على ياقة سترته ، [illegible] بالتظاهر بمحاولة إبعاده عنه ، ولكن ، وبينما كان يتظاهر بمحاولته تلك ، دفع أحد أظفاره أسفل فك الرجل ، معتمدًا إحداث خدش صغير فيه ، كشف له أن الرجل لم يكن متنكرًا كما تخيَّل ، وأن وجهه كان طبيعيًا وحقيقيًا ..

وفى تلك اللحظة كان رجال الأمن بالقطار قد وصلوا ، ليتدخلوا فى فض هذه المشاجرة ، حيث أصرّوا على اصطحاب الجميع إلى عربة التحقيقات ، وهناك كشف لهم (ممدوح) عن شخصيته بطريقة سرية ، فسمحوا له بالعودة إلى عربته مرة أخرى ، ولكنه طلب منهم إطالة أمد التحقيق مع السائح الأمريكى ، لأطول وقت ممكن ، حتى يتسنى له تفتيش عربته تفتيشًا جيِّدًا ، فلم يعد أمامه سوى أن ينقِّب وراء هذا الرجل ، بعد أن أصبحت الشبهات تحوم حوله وحده ، فهو الوحيد ،

عدا ذلك الرجل المدعو (روجر) ، الذى تعمَّد الاقتراب من مائدة (ممدوح) باعتباره العالم الألمانى (فون) ..

وما دام قد تبين له أن (روجر) هذا لم يكن متنكرًا ، وأن وجهه لا يختفى تحت قناع من الجلد الصناعى ، إذن فلم يعد هناك مجال للشك ، فى أنه إذا كان (شيفى) قد استقل ذلك القطار ، فلن يكون سوى ذلك السائح الأمريكى .

أو لا يكون أبدًا .

* * *



٧ ــ قطار الشيطان ..

دخل (ممدوح)عربة السائح الأمريكى ، وأخذ يفتش أوراقه وملابسه بعناية فائقة ، دون أن يعثر على أدنى أثر ، يمكن أن يقوده إلى حقيقة الرجل ، وبعد قليل سمع بعض الطرقات على الباب ، ففتحه متحفزًا ، ليجد أمامه شابًا يبتسم بمودة قائلا :

ــ سيادة المقدَّم (ممدوح) :

أجابه (ممدوح) :

ــ نعم .

قال الرجل :

ــ (عماد قنديل) ، من إدارة التحقيقات .

قال (ممدوح) :

ــ إذا كان التحقيق قد انتهى ، يمكنكم أن تعيدوا ذلك الأمريكى ، فقد انتهيت من تفتيش عربته ، ولم أعثر على شىء ذى قيمة .

قال المحقق :

ـــ لقد فكّرت ، قبل أن نسمح له بالعودة إلى عربته ، أن أدلى إليك بملحوظة كشفناها أثناء التحقيق مع الرجل ، وربما أفادتك بشيء ..

سمح له (ممدوح) بالدخول ، قائلاً :

ـــ إننى أحتاج بالفعل إلى الاستماع إلى أية ملاحظة غير عادية .

قال المحقق ، وهو يستند بكتفه إلى أحد جدران الغرفة الضيّقة ، التى تتألف منها عربة النوم :

ـــ لقد لاحظت أنك لم تكن بارعًا بما يكفى ، فى انتحالك شخصية العالم الألمانى (فون) .

نظر إليه (ممدوح) بدهشة ، قائلاً :

ـــ ولكننى ظننت أنك ستتحدّث عن شيء لاحظته ، فى التحقيق مع ذلك الأمريكى ، وليس عن إجادتى للتنكّر .

أكمل المحقّق وكأنه لم يستمع إلى تعليق (ممدوح) :

ـــ أولاً : لقد أبديت قوة جسمانية لا تتفق مع عُمْر وشخصية العالم الألمانى ، أثناء تدخلك فى ذلك الصراع ، الذى دار بين الرجلين فى عربة الطعام ، وثانيًا : الطريقة التى

وضعت بها أظفارك فى وجه غريمك ، فى أثناء شجارك معه ، للكشف عن حقيقة شخصيته ، هى طريقة لا يعرفها سوى المحترفين ، ممن يعملون فى مجال الأمن والتجسس ، وبذلك فقد كشفت عن نفسك بطريقة ساذجة يا سيادة المقدّم ؛ لذا فيمكننى أن أراهن أنك لا تتصوّر أبدًا أن العميل (شيفى) الذى تبحث عنه ، والذى ظننت أنه أحد الرجلين المتصارعين فى عربة الطعام ، هو نفسه المحقّق الذى يقف أمامك .

وظهر وقع المفاجأة واضحًا على وجه (ممدوح) ، الذى أسند ظهره إلى جدار الغرفة ، وشعر أنه قد وقع فى شرك حقيقى ، خاصة عندما رأى فوهة المسدس المزوّد بكاتم للصوت ، وهى مصوّبة إلى صدره ..

لقد أجاد الرجل دوره بالفعل ، فى حين سمح هو لنفسه أن يقع فى ذلك الفخ الساذج ، بتدخّله فى تلك المشاجرة الحمقاء ..

ونظر إليه (شيفى) بسخرية ، قائلاً :

ـــ لقد تمكّنت بعد ذلك من استراق السمع ، للحديث الذى دار بينك وبين المحققين ، الذين طلبت منهم احتجاز السائح الأمريكى ، حتى تنتهى من تفتيش حجرته ، بعد أن

كشفت لهم عن شخصيتك ، وعند ذلك قررت أن أنتحلَ شخصية أحد المحققين ، وأحضر لأفاجئك هنا .. إننى أعرف الكثير عنك أيها المقدَّم (ممدوح) ، فلدينا فى (استرتان) ملف بشأنك ، ومادام العالم الألمانى ليس موجودًا فى هذا القطار ، فلا بأس من القيام بعمل إضافى ، إلى جانب المهمة التى جئت من أجلها ، والتخلّص منك أيضًا ، إذ أعتقد أن هذه خدمة طيبة ، ستلقى تقديرًا كبيرًا من رؤسائى ، خاصة وأننى بذلك سأمنعك تمامًا من القيام بأى دور ، فى العملية التى جئت من أجلها ..

حاول (ممدوح) أن يكسب الوقت ، آملًا فى العثور على أية فرصة للخروج من هذا المأزق ، فقال :

— لدى أعوان فى هذا القطار ، وإذا ما وقع لى شىء ما ، فلن يسمحوا لك بمغادرته ، بأى حال من الأحوال .

نظر إليه (شيفى) ساخرًا ، وهو يقول :

— أعرف ذلك ، وقد رأيت هذين الرجلين ، وهما يسارعان بوضع أيديهما على الجهة التى أخفيا فيها سلاحهما ، فى أثناء المعركة التى دارت بينك وبين الرجل ، فى عربة الطعام ، ويمكنك أن تثق بأننى سأعرف كيف أتعامل معهما بالطريقة المناسبة ، حينما أنتهى منك .

وأملًا فى كسب المزيد من الوقت ، قال له (ممدوح) ، محاولًا إثارة غروره :

— يبدو أنك قوى الملاحظة للغاية .

قال (شيفى) باستعلاء :

— قوة الملاحظة شىء أساسى فى عملنا يا عزيزى ، والآن اسمح لى أن أقول : وداعًا .

قال ذلك ، وهو يتأهب لإطلاق الرصاص عليه ، ولكن (ممدوح) كان فى أثناء حواره مع (شيفى) ، قد أخذ يتفحص الغرفة حوله . بطرف خفى ، بحثًا عن أية وسيلة تمكنه من الدفاع عن نفسه ، ووجد نفسه قريبًا من الحوض الصغير الموجود فى الغرفة ، وفوق الحوض . مرآة بلّورية صغيرة ، وُضع أسفلها مباشرة رف زجاجى ، وفوقه فرشاة صغيرة وآلة حلاقة ، وزجاجة عطر كبيرة ، وكانت تلك الأشياء تبدو تافهة وغير ذات جدوى ، فى موقف عصيب كهذا ، ولكن لم يكن هناك سواها ، وكان على (ممدوح) أن يستغلَّ ما هو متاح أمامه ، بأى حال من الأحوال ؛ لذا فلم يتردَّد فى التقدم بسرعة فائقة نحو (شيفى) ، قابضًا على رسغه ، الذى تمتد منه اليد القابضة على المسدس ، ليلويه فى اتجاه عكسى ، قبل أن



وقبل أن يبدى (شيفى) أى رد فعل ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة قوية ، أطاحت به فوق السرير السفلى داخل الغرفة ..

تنطلق الرصاصة ، وفى خلال ثانية كان من الممكن أن يتحول المسدس من اليد إلى يد أخرى ، ليطلق منه (شيفى) رصاصة سريعة تنهى الموقف ، لكن خلال هذه الثانية ، التى لم تكتمل ، كان (ممدوح) قد تناول زجاجة العطر من فوق الرف ، ليهشِّمها على يد غريمه ، القابضة على المسدس ، وتألـم الرجل ، وسقط منه المسدس على الأرض ، فى حين أخذت الدماء تنزف من يده بغزارة ..

كان كل شىء قد تم بسرعة خاطفة وغير عادية ، وقبل أن يبدى (شيفى) أى رد فعل ، كان (ممدوح) قد عاجله بلكمة قوية ، أطاحت به فوق السرير السفلى داخل الغرفة ، وحاول (ممدوح) تناول مسدّسه ، ولكن (شيفى) تمالك نفسه فى سرعة ، ووجّه ضربة قوية ، بمقدِّمة حذائه ، إلى ساق (ممدوح) آلمته بشدَّة ، وبحركة تلقائيـة مدّ (ممدوح) يده يتحسَّس موضع الألم ، ولكن (شيفى) انتهز الفرصة لينهال عليه بلكمة عنيفة ، أطاحت به فوق الحوض الصغير ، واستعدّ لتسديد لكمة ثالثة ، ولكن (ممدوح) تجنّبها سريعًا ، وهو يضع راحته على عنق (شيفى) ، ليدفع وجهه ، ليصطدم بصنبور المياه أعلى الحوض ، ومدّ (ممدوح) يده ليلتقط المسدس الملقى

على الأرض ، حتى لا يسمح لغريمه باستخدامه مرة أخرى ، ولكن (شيفى) ، الذى ظل محتفظًا بمقاومته ، داس على يد (ممدوح) بحذائه ، ثم سدّد ضربة قوية إلى وجهه بالقدم الأخرى ، جعلته يصطدم بباب الغرفة ، ولكن (ممدوح) ظل متشبثًا بالمسدس ، الذى التقطه من الأرض ، على الرغم من الألم الشديد ، الذى أصاب يده ووجهه ، فقد كان يعرف جيدًا أن احتفاظه بهذا المسدس ، وإبعاده عن يد غريمه ، يعنى بقاءه على قيد الحياة ..

وفى تلك اللحظة توالى صوت طرقات عنيفة على باب الغرفة ، وسمع (شيفى) صوت شخص يأمر موظف القطار بفتح باب العربة بالمفتاح الاحتياطى ، وأحسّ بخطورة موقفه ، فاندفع سريعًا نحو النافذة الوحيدة داخل العربة ؛ ليفتحها ، ثم دفع نصفه العلوى إلى الخارج ، ومدّ يديه إلى أعلى ؛ ليتعلّق بسطح القطار ، وعلى الرغم من الآلام التى أصابت (ممدوح) ، إلا أنه حاول أن يمنع (شيفى) من الهرب ، بإطلاق رصاصة من المسدس الذى استولى عليه ، فى اتجاهه ، فى أثناء محاولته تسلق سطح القطار ، ولكن رصاصته طاشت عندما دفع بعضهم باب الغرفة ، الذى كان يستند إليه ، فأخلّ بتوازنه ، وأعجزه عن التصويب ..

ودخل زميلا (ممدوح) إلى الغرفة فى صحبة عامل القطار ، حيث سأله أحدهما فى جزع :

ـــ ماذا حدث ؟

أجابهما (ممدوح) ، وهو يندفع فى اتجاه النافذة :

ـــ إنه هنا فى القطار .. لقد هرب من النافذة .

أسرع (ممدوح) يتسلّق سطح القطار بدوره ، محاولًا اللحاق به ، ووجده يزحف فوق العربات ، فأخذ يزحف بدوره فوق سطح القطار ، محاولًا اللحاق به ، وتمكّن بعد جهد كبير من الإمساك بقدمه ، ولكن (شيفى) دفع قدمه إلى الوراء ، فى وجه (ممدوح) ، ثم جثا على ركبتيه ، وساعد نفسه على النهوض ، محاولًا السير فوق عربات القطار ..

ولم يتراجع (ممدوح) عن مطاردته لغريمه ، إذ نهض بدوره ، وتقدّم فى خطوات بطيئة حذرة فوق سطح القطار ، وهو يهتف :

ـــ من الأفضل لك أن تستسلم ، فلا جدوى من الهرب .

ولكن (شيفى) لم يأبه به ، واستمر فى محاولته للهرب ، على الرغم من المخاطر التى تحيط به ، وهو يحاول الاحتفاظ بتوازنه سليمًا ، فوق سطح هذا القطار السريع .

وامتدت يد (ممدوح) تمسك كتفه من الخلف ، ليديره فى مواجهته ، ثم صوَّب له لكمة قوية ، كادت تخلّ بتوازنه ، ولكن (شيفى) استعاد توازنه بسرعة ، وانتهز الاختلال فى توازن (ممدوح) أثناء ، تسديده اللكمة ، ليعاجله بلكمة أشد عنفًا فى بطنه ، وكادت قدم (ممدوح) تنزلق ، وهو ينثنى إلى الأمام ، من أثر اللكمة التى تلقاها فى أمعائه ، ولكنه عاد يتماسك وهو يقبض بقوة على سترة غريمه ، الذى أمسك بدوره سترة (ممدوح) وأخذ كل منهما يجذب الآخر ، فى صراع عنيف ، محفوف بالمخاطر ، واستطاع (ممدوح) أن يدير (شيفى) فى الاتجاه العكسى ، وهو يجذب ياقة سترته إلى أسفل ، دافعًا إحدى ركبتيه إلى وجهه فى قوة ، وكادت هذه الضربة تحسم الصراع ، لولا أن (شيفى) لاحظ شيئًا ما وراء ظهر (ممدوح) ، جعله يبتسم ، على الرغم من أن الموقف لا يتفق مع هذه الابتسامة ، وأحس (ممدوح) بالخطر يتهدّده ، فالتفت خلفه سريعًا ، ليرى أن القطار يتقدم بسرعة كبيرة ، ليخترق أحد الأنفاق ، التى يعلوها كوبرى ..

وفى هذه المرة أيضًا كان الفرق لا يزيد على الثانية ، ليلقى (ممدوح) حتفه ، إذا ما اصطدم رأسه بجدار الكوبرى .. فمن

المؤكد أن هذا الرأس لم يكن ليستقر فوق كتفيه لو لم تبدر منه هذه الالتفاتة السريعة ، التى أثارتها ابتسامة (شيفى) المريبة ..

وأسرع (ممدوح) يبعد يد (شيفى) ، القابضة على ياقة سترته ، ليستلقى بوجهه فوق سطح القطار ، وهو يضع يديه فوق رأسه ، أما (شيفى) فقد كان أكثر استعدادًا للمخاطرة ، خاصة بعد أن وجد فى هذا الكوبرى العلوى المهرب الوحيد له ، إذ أسرع يثب نحو الجزء البارز من جدار الكوبرى ، ليتعلق به بكل ما أوتى من قوة ، تاركًا القطار يواصل سيره داخل النفق ، فى حين لم يشعر (ممدوح) أو يسمع سوى صوت عجلات القطار ، وهى تنهب القضبان الحديدية ، وذلك الظلام الدامس ، الذى يحيط به من كل جانب ، والقطار يواصل سيره داخل النفق ، وعندما غادر القطار النفق ، وعاد (ممدوح) إلى الصراع لم يجد أمامه سوى الفراغ ، وأدرك أن (شيفى) قد ربح هذه الجولة أيضًا ..

ربحها بجدارة .

* * *

٨ ـ صراع فى الصحراء ..

اقتربت قافلة الجمال ، القادمة عبر الحدود المصرية من (السودان) فى طريقها إلى (أسوان) ، ومنها إلى (القاهرة) ، حيث يوجد سوق بيع وشراء الجمال ، يتقدّمها عدد من التجار ، وبعض القائمين على حراسة القافلة فى الخلف ، ومن وراء أحد التلال الصغيرة ، أشار أحد الأشخاص لآخر ، قائلًا :

ـ هذه هى قافلة الجمال القادمة من (السودان) .. يمكنك أن تسير فى نهاية القافلة ، وتتبعها دون أن ينتبه إليك أحد ، فرجال القافلة سيتصوَّرون أنك غريب ، ضلَّ طريقه فى الصحراء ، ويهتدى بالقافلة للوصول إلى العمران ، ولكن عليك ألا تتحدَّث مع أحد منهم ، حتى لا يكشف أحدهم أمرك ..

أما الآخرون ، فسيظنون أنك أحد رجال القافلة ، وبعد مسيرة ثلث الساعة ، ستنحرف يسارًا ، بحسب الخريطة التى قدمتها لك ، حيث تجد المصنع الحربى على مسافة بضعة أمتار ..

أخرج الرجل الآخر رزمة من الأوراق المالية ، قدّمها للشخص الذى كان يشرح له ، قائلًا :

ـ أشكرك يا شيخ (جفبوب) .. هذا هو المبلغ الذى وعدتك به .

تناول منه الرجل الرزمة المالية فى جذل ، قائلًا :

ـ سأكون فى خدمتك دائمًا ، ما دمت تدفع بهذا السخاء ، وأنت تعرف أين تجدنى لو احتجت إلىَّ .

وتركه الرجل ، الذى لم يكن سوى (شيفى) ، العميل الاسترتالى ، بعد أن نقده أجره ، يمتطى أحد الجمال ، متدثرًا بعباءة عربية ، وغطاء للرأس ، من ذلك النوع الذى يستعمله السودانيون فوق رءوسهم ، بعد أن صبغ وجهه بمادة جعلته أسمر اللون ، وسار خلف القافلة ، وهو يتتبَّعها ، بعد أن وضع الخريطة التى قدمها له الشيخ (جفبوب) أمامه ، على ظهر الجمل ، وبعد مسيرة ثلث الساعة ، كما حدَّد الشيخ (جفبوب) ، وجد أحد المنحنيات الصخرية إلى يساره ، وفقًا لما هو موضح أمامه على الخريطة ، فانحرف عن خط سير القافلة ، ليسير جهة اليسار ، وبعد عدة أمتار ربط لجام الجمل فى أحد جذوع النخيل ، واعتلى مرتفعًا جبليًا صغيرًا ، ليلقى

نظرة على المصنع الحربى ، الذى يقع على مسافة غير بعيدة ، ثم كمن فى إحدى الحفر المنتشرة فوق المرتفع الجبلى ، حتى أرخى الليل سدوله ، ثم عاد يتسلّق قمة المرتفع ، بعد أن أخرج منظارًا تلسكوبيًّا ، مزوّدًا بالأشعة تحت الحمراء ، من تحت عباءته ، ورقد على بطنه وهو يراقب المصنع ، والمنطقة المحيطة به بوساطة المنظار ، وسرعان ما تكشّف له مواقع الأكمنة ، القنّاصة المنتشرين حول المصنع ، ترقّبا لوصوله ،وكشف له المنظار الليلى عن أماكنهم بوضوح ، فقال لنفسه ، وهو يعود لفحص المنطقة مرة أخرى :

— إنها مصيدة محكمة بالفعل .. تكفى عدة خطوات قليلة ، بعد هذا المرتفع الجبلى الصغير ، لتنهال علىّ عشرات الطلقات .

وبينما هو يمسح المنطقة بمنظاره الليلى ، لمح أحد القناصة ، من خلال منظاره التلسكوبى الليلى أيضًا ، والمثبت فوق بندقيته الآلية ، ورأى (شيفى) إصبعه وقد استقرّتْ على زناد البندقية ، فأبعد المنظار عن عينيه سريعًا ، وهو يدفن رأسه فى الرمال ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة محكمة فوق رأسه ..

لقد كشف القناص مكانه ، ولن يلبث أن يلفت نظر الآخرين إلى موقعه ، ليصبح فى ورطة حقيقية ..

وقال (شيفى) لنفسه :

— لم يعد هناك مفر من الفرار ، فلا جدوى من الإصرار على المخاطرة والتحديات الآن .

وأخذ يزحف سريعًا متقهقرًا إلى الخلف ، أملًا فى الوصول بأقصى سرعة إلى مكان الناقة ، لاستخدامها فى الهروب ، وقبل أن يلحق به الآخرون ، ولكن الاتصال اللاسلكى ، الذى أجراه القناص ، كان قد أتى مفعوله ، وما أن هبط من فوق المرتفع الصخرى ، متقدّمًا إلى مكان الناقة ، حتى وجد أمامه أحد رجال حرس الحدود من (الهجّانة) ، وقد اعتلى متن أحد الجمال ، وهو يصوّب إليه بندقيته ، قائلًا :

— لا تتحرّكْ من مكانك ، وإلّا أطلقت عليك الرصاص .

وعلى بعد مترين آخرين منه كان هناك خمسة أشخاص آخرين ، من الرجال المسلحين ، يتقدّمهم (ممدوح) الذى هتف قائلًا :

— هذه هى النهاية يا (شيفى) ، فلا داعىَ للمقاومة ، ألق بسلاحك وارفع يديك عاليًا .

وتظاهر (شيفى) بالرضوخ ، فألقى المسدس ، الذى كان يهم بإخراجه ، على الأرض ، ثم نزع عنه حزام الرصاص الملتف

حول صدره ، ليلقيه أمام الرجال ، الذين يتقدّمون نحوه شاهرين أسلحتهم ، ولكنه فى أثناء تظاهره بالاستسلام والرضوخ ، امتدّت يده سريعًا بحركة خفيّة ، إلى عود فوسفورى صغير ، كان يخفيه خلف حزام الرصاص الملتف حول صدره ، ليحكّه فى جزء معدنى مثبت على الحزام من الخلف ، ليشتعل سريعًا ، ثم ألقاه فى حركة سريعة فوق الحزام ، الذى قذف به على الأرض أمام الرجال ، حيث كان الحزام مزوّدًا ، إلى جانب طلقات الرصاص ، بشرائط من الديناميت السريع الانفجار ..

وعلى الفور توالت الانفجارات المتتالية ، من الديناميت وطلقات الرصاص ، وارتفعت ألسنة من النيران ، فى مواجهة (ممدوح) ومن معه ، وأجبرتهم على التقهقر إلى الخلف ، وشبت النيران فى أحدهم ، فأطلق صرخة مدويّة ، وأصاب الذهول حارس الحدود ، الذى كان يمتطى الناقة فى مواجهته ، لهذا التطوّر المفاجىء ، وانتهز (شيفى) تحوّل انتباه الرجل إلى موقع تلك الانفجارات المتوالية ، والحرائق المشتعلة خلفه ، ليجذب المدية التى أخفاها أسفل عباءته سريعًا ، ويقذفها نحو صدره ، فجحظت عينا حارس الحدود وهو ينظر إلى المدية ،

التى استقرت فى قلبه ، ثم لم يلبث أن هوى من فوق الناقة إلى الأرض صريعًا ، واستمرّ (شيفى) فى استغلاله لعاملى المفاجأة والسرعة ، فى الوثوب إلى ظهر الناقة ، بعد أن استولى على بندقية الحارس ، ليصوّب منها عدّة طلقات فى اتجاه الأشخاص الذين نجوا من ألسنة النيران فأردى بعضهم قتلى ، ثم انطلق بالناقة بين الجبال ، وهو يستحثّها على الإسراع ، ليهرب من مطارديه ..

ويربح جولة جديدة ..

* * *

تقدّم (شيفى) نحو مغارة جبلية فى دقّة وحذر ، بعد أن ترك الناقة على مسافة قصيرة منها ، وفجأة استقرت فوهة ماسورة معدنية ، لبندقية سريعة الطلقات ، على صدغه ، وسمع صوتًا خشنًا ، تبدو فيه اللهجة النوبيّة واضحة ، ويقول :

ــ إياك أن تخطو خطوة واحدة .

وقف (شيفى) فى مكانه ، وتابع الرجل :

ــ من أنت ؟ وما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قال (شيفى) :

ــ جئت لمقابلة .....



ثم انطلق بالناقة بين الجبال ، وهو يستحثها على الإسراع ، ليهرب من مطارديه ..

وقبل أن يكمل جملته ، سمع صوتًا يقول للرجل :

ــ دعه يا (نعمان) .

والتفت (شيفى) إلى الشيخ (جغبوب) ، الذى خرج من المغارة ليستقبله قائلًا :

ــ ما الذى أتى بك مرة أخرى إلى هنا ؟

أجابه (شيفى) :

ــ قلت لى : إننى أستطيع أن أعود لو احتجت إليك.

قال الشيخ (جغبوب) ، وقد جلس فوق أحد الأحجار الكبيرة وأشعل لنفسه لفافة تبغ .

ــ إذا كنت تبحث عن مأوى بيننا هنا ، فلن أستطيع أن أساعدك فى هذا الأمر ، إذ يبدو أنك تقوم بعمل خطير للغاية ؛ لأنهم ينقبون الصحراء بحثًا عنك ، ووجودك معنا سيثير لنا الكثير من المتاعب .

قال (شيفى) :

ــ قلت لك : إننى جئت إلى هنا بحثًا عن ..

عاد الشيخ (جغبوب) لمقاطعته قائلًا :

ــ لا يهمنى الشىء الذى أتى بك إلى هنا ، ولا أريد أن أعرفه .. لقد طلبت منى خدمة ، واتفقت معك على المقابل ..

أرشدتك إلى المصنع الحربى ، الذى أردت أن تصل إليه بطريقة لا تلفت إليك الأنظار ، ودفعت لى مقابل ذلك المبلغ المتفق عليه ، وانتهى الأمر ، فأنا هنا أؤدّى خدمات وأحصل على المقابل ، دون أن أطرح الأسئلة ، لذا فعملائى كثيرون ، لأنهم يحبون طريقتى .. أما عن المأوى ، فأنا أدقّق كثيرًا فى الأشخاص الذين يمكن أن أقدّم لهم هذه الخدمة .

قال (شيفى) :

ــ ولكنى لم آت من أجل مأوى .. إننى أريد مساعدتك لى فى الهروب عبر الحدود السودانية .

تطلّع إليه الشيخ (جغبوب) برهة ، ثم قال معترضًا :

ــ تريد أن أقوم بتهريبك إلى (السودان) ، ولكن هذا عمل بالغ الخطورة .

قال (شيفى) :

ــ أعرف جيّدًا أنك تساعد المهربين وتجار المخدرات ، فى التسلّل عبر الحدود ، من هذا المكان ، بوسائلك الخاصة ، لذا فلن يشكّل الأمر لك صعوبة بالغة .

اقترب (جغبوب) منه قائلًا :

ــ مَن الذى أمدّك بهذه المعلومات عنى ؟

قال (شيفى) :

ــ هأنتذا قد بدأت تطرح الأسئلة ، على الرغم من أن هذا ليس أسلوبك .. أليس كذلك ؟.. على كل حال .. أنا أيضًا لى وسائلى الخاصــة ، التى تمكننى من معرفة كل شىء عن الأشخاص الذين أتعامل معهم .

أطلق (جغبوب) ضحكة عالية ، وقال :

ــ قلت منذ اللحظة الأولى : إنك رجل غير عادى .

قال (شيفى) ، وهو يتلفّت حوله بقلق :

ــ هل يعنى هذا أننا قد اتفقنا ؟

قال (جغبوب) متردّدًا :

ــ لا أعرف إذا كان يمكننى مساعدتك أم لا ، فأنت لا تبدو مثل مهرّبى المخدرات ، أو من نوعية المجرمين الذين أتعامل معهم ، كما أنك أثرت زوبعة حولك فى (أسوان) ، مما يجعل محاولة تهريبك محفوفة بالمخاطر بالفعل .

قال (شيفى) :

ــ إذا كنت تبغى من وراء ذلك رفع السعر ، فاطمئن .. سوف أجزل لك العطاء .. المهم أن تساعدنى فى الهروب إلى (السودان) .

بعد برهة من التفكير والتردد أجابه (جفبوب) :

ـــ حسنًا .. ما دمت ستجزل العطاء كما تقــول .. فسأخوض معك هذه المخاطرة .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة دهاء ، وهو يستطرد .

ـــ حتى النهاية .

* * *



٩ ـــ المنطقة الملتهبة ..

وصل اللواء (مراد) إلى (أسوان) ، حيث عقد اجتماعًا قصيرًا مع (ممدوح) ، الذى قال له :

ـــ لقد قبضنا على (جفبوب) وعصابته ، بالقرب من الحدود السودانية ، واعترف لنا بمساعدته (شيفى) على اجتياز الحدود المصرية ، هربًا إلى (السودان) ، وبعد اتصالى بسيادتك ، قمت بناءً على التعليمات التى وجّهتها إلىّ ، بإجراء اتصالات مع المخابرات السودانية ، والمسئولين عن الأمن هناك ، لتتبع (شيفى) داخل (السودان) ، وأبديت استعدادى للسفر إلى هناك ، من أجل مساعدتهم فى إلقاء القبض عليه .

قال اللواء (مراد) :

ـــ لقد اتصل بى أحد المسئولين السودانيين أمس ، وأخبرنى بوجود صعوبة بالغة فى مطاردة (شيفى) ، وإلقاء القبض عليه ، على الرغم من أن المعلومات التى جمعوها كشفت لهم عن مكانه .

ممدوح :

ـــ وما هى الصعوبة فى إلقاء القبض عليه ، ما دام مكانه قد أصبح معروفًا للمسئولين هناك ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لقد شعر (شيفى) بتعقّب السلطات السودانية له ، فهرب إلى جنوب (السودان) ، فى منطقة تُدعى (جوبا) ، وهى منطقة تقع تحت سيطرة قوات المتمردين على الحكومة السودانية ، وهناك بعض المعارك التى تدور بين القوات العسكرية السودانية ، وقوات المتمردين فى تلك المنطقة ، مما يحول دون تدخل رجال الأمن ، فى الوصول إلى الجهة التى هرب إليها (شيفى) .

ممدوح :

ـــ هل يعنى هذا أنه هناك احتمال أن يكون (شيفى) قد لجأ إلى قوات المتمردين فى جنوب (السودان) لحمايته من مطاردة رجال الأمن السودانيين له ؟

اللواء (مراد) :

ـــ بل هناك تأكيد بذلك ، فمن المعروف وجود علاقات وثيقة بين الاسترتانيين والمتمردين فى الجنوب ، حيث يمدونهم

بالأسلحة ؛ لاستمرار الصراع القائم بينهم وبين قوات الجيش السودانى ؛ ولذا فهم لن يتوانوا عن مساعدة رجل له أهميته مثل (شيفى) ، للتأكيد على صداقتهم للاسترتانيين ، كما أنه لن يتوانى عن اللجوء إليهم ؛ لمساعدته فى الهرب ، وربما فى العودة إلى (استرتان) .

أطرق (ممدوح) قائلًا :

ـــ أو العودة .. مرة أخـــرى إلى (مصر) ، لإكمال مهمته .

اللواء (مراد) :

ـــ لا أعتقد أن الجرأة ستصل به إلى هذا الحد ، خاصة بعد أن أصبحت خطته مكشوفة ، وبعد أن استطعنا إبعاده عن البلاد .. إننى أرى أن نغلق ملف القضية عند هذا الحد ، فقد أصبح (شيفى) الآن بعيدًا ، ويمكن للعلماء الألمان العودة إلى العمل فى أمان ، بعد ترتيب احتياطات أمن جيدة .

ممدوح :

ـــ اسمح لى أن اختلف معك فى هذا الأمر يا سيادة اللواء ، فرجل مثل (شيفى) لا يتورع عن المخاطرة ، فى سبيل إتمام مهمته ، كما أن الأوامر قد تصل إليه من (استرتان) ،

للاستمرار فى أداء المهمة ، حتى لو أراد هو العـودة ، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لإعادة الثقة فى كفاءة أجهزة الأمن المصرية بوجه عام ، وإدارة العمليات الخاصة بوجه خاص ، وقدرتها على حماية من يعملون لديها ، والكشف عن الوجه القبيح لعمل المخابرات الاسترتانية ، فكل ذلك يتطلب الإصرار على القبض على (شيفى) ، وأن يلقى جزاءه على الجرائم التى ارتكبها فى بلادنا ، دون أن نسمح له بالإفلات من القصاص العادل .

اللواء (مراد) :

ــ ولكن كيف نستطيع الوصول إليه ، وهو يحتمى بتلك القوات العسكرية المتمرّدة ؟ الأمر يتطلب مواجهة عسكرية لتحقيق ذلك .

ممدوح :

ــ لا أعتقد أن المسألة ستحتاج إلى معارك حربية ، فطبقًا لمعلوماتى ، فإن تلك المنطقة التى يحتمى بها (شيفى) ، تخضع لبعض الجماعات العسكرية المتمرّدة والمتفرّقة ، التى تدور بينها بعض الصراعات المختلفة ، دون أن ينطوى الجميع تحت لواء واحد ، على الرغم من أنهم يشتركون فى قتال القوات

العسكرية السودانية .. كعدو رئيسى ، كما أن المنطقة تزخر ببعض القبائل والأهالى ، الذين لم يغادروها برغم جحيم الحرب الدائرة هناك .

اللواء (مراد) :

ــ هذا صحيح .

ممدوح :

ــ إذن فهناك احتمال أن يكون (شيفى) قد لجأ إلى إحدى هذه الجماعات ، أو لجأ إلى إحدى القبائل أو إحدى منازل الأهالى القائمة هناك .

اللواء (مراد) :

ــ وما الذى يمكن أن يعود علينا من وراء تلك الاحتمالات المختلفة ؟ إنه فى منطقة ملتهبة ، محفوفة بالمخاطر ، وهذا مكمن الصعوبة فى الوصول إليه .

ممدوح :

ــ إذن فاسمح لى سيادتك بإكمال المهمة ، التى كلفتنى إياها منذ البداية ، وأن أخترق تلك المنطقة الملتهبة ، بحثًا عن العميل الاسترتانى ، والقضاء على خطره .

اللواء (مراد) :

— هل أنت مجنون ؟ كيف تذهب إلى منطقة لا تنقطع فيها المعارك العسكرية ليلًا ونهارًا ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

— لقد مارست العديد من الأعمال الجنونية من قبل ، ثم إن تلك الصراعات العسكرية ، الدائرة هناك ، ستتيح لى فرصة التسلل وسط خضم المعارك ، والخلافات الدائرة بين الجماعات المتمرِّدة ، بحثًا عن (شيفى) .

اللواء (مراد) :

— وكيف ستعثر عليه ، وسط هذا الصراع الدامى ؟

ممدوح :

— هذا من صميم عملى يا سيِّدى ، إنك تثق بـ (ممدوح) .. أليس كذلك ؟

نظر إليه اللواء (مراد) ، قائلًا :

— بالطبع .

ممدوح :

— إذن دعنى أكمل المهمة ، التى كلفتنى إياها .

أطرق اللواء (مراد) قليلًا ، ثم قال :

— حسنًا .. سأوفر لك الوسيلة ، التى تنقلك إلى جنوب

(السودان ، ولكن لا تقدم على عمل متهوِّر ، يعرِّض حياتك للخطر دون داع .. هيا .. انطلق .

* * *

فى مقر إدارة العمليات العسكرية السودانية ، اجتمع (ممدوح) مع رئيس هيئة العمليات ، الذى شرح له طبيعة الموقع الذى لجأ إليه (شيفى) ، قائلًا :

— طبقًا للمعلومات التى لدىَّ فإن (شيفى) يمكن أن يكون قد لجأ إلى هذا الموقع ، فى جزيرة (جوبا) ، وهذا الموقع تسيطر عليه مجموعتان من المتمردين المسلحين ، تتألف كل مجموعة منهما من كتيبتين عسكريتين ، تقوم بينهما ـ من آن لآخر ـ بعض الصراعات المسلّحة ، لتولِّى القيادة فى المنطقة ، كما أنه فى تلك البقعة ثلاث قبائل ، تنتمى بعضها لإحدى المجموعتين العسكريتين ، وبعض القرويين البسطاء ، الذين يحاولون أن يكونوا على الحياد ، وسط أهوال الحرب الدائرة هناك .

سأله (ممدوح) :

— ألم تحاولوا مهاجمة هذا الموقع من قبل ؟

رئيس هيئة العمليات :

ـــ لقد دارت فقط بعض المناوشات الحربية بين القوات المسلحة السودانية والكتيبتين المتمرّدتين ، ولكنها لم تصل إلى مرحلة القتال الحقيقى ، حرصًا على سلامة أفراد القبائل والأهالى الموجودين فى تلك البقعة من الجزيرة ، ونحن نسعى الآن إلى عزل تلك الكتائب المتمرّدة ، فى أحد المناطق النائية ، لنقوم بهجوم مكثف على أفرادها ، وننهى سيطرتها على الجزيرة ، ولكن هناك صعوبة فى تنفيذ ذلك حتى الآن .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. إننى أريد الذهاب إلى ذلك الموقع ، للبحث عن (شيفى) هناك .

رئيس هيئة العمليات :

ـــ لكن المخاطرة على هذا النحو ستكون جسيمة بالنسبة لك ، فالمنطقة ملتهبة ، ويصعب عليك مواجهة كل تلك الأخطار التى ستعترضك هناك بمفردك ، كما أنك لا تعرف المكان الذى يختفى فيه العميل الاسترتانى على وجه التحديد .

ممدوح :

ـــ سيادة اللواء ، إننى أحمل على عاتقى مهمة ، آليت على نفسى تنفيذها مهما كانت الأخطار أو الصعاب ، فذلك الرجل

يمثل تهديدًا للأمن القومى لبلادى ، ويجب وضع نهاية لشروره ، وهذا هو الهدف من مجيئى إلى هنا .

رئيس هيئة العمليات :

ـــ حسنًا .. وأنا مكلّف تسهيل الأمر بالنسبة لك .. سنكون بحاجة لمجموعة من رجال الكوماندوز ؛ لمساعدتك فى تنفيذ مهمتك فى ذلك المكان .

ممدوح :

ـــ سأقوم بالعمل بمفردى ، فأنا لا أريد لفت الأنظار ، باصطحاب مجموعة من العسكريين معى ، إذ أن ذلك قد يعوق قيامى بالمهمة المكلّف إياها ، فضلًا عن أنه يتعين على سيادتك ادخار قواتك للعمليات العسكرية الحقيقية ، دون تعريض بعضها للأخطار ، بسبب مهمة أمنية ، هى من صميم عملى .

حاول رئيس هيئة العمليات الاعتراض ، قائلًا :

ـــ ولكن ....

ولكن (ممدوح) قاطعه ، قائلًا بدوره :

ـــ أرجوك يا سيادة اللواء .. كل ما أحتاجه منك هو خريطة تفصيلية للمنطقة ، ووسيلة تنقلنى إلى هناك .

ولم يجد رئيس هيئة العمليات بُدًا من الرضوخ لإرادة (ممدوح) .. وبدء جولة جديدة من الصراع ..

* * *

١٠ ـ وحوش فى الأدغال ..

حلّقت الهليوكوبتر فوق إحدى البقاع النائية ، داخل جزيرة (جوبا) ، وأشار قائدها إلى أسفل ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ـ هذا هو المكان المناسب لهبوطك .

شكره (ممدوح) وهو يقفز من الطائرة إلى الأرض ، قبل أن تعاود التحليق من جديد ، وثبّت الحقيبة الجلدية التى أحضره معه خلف ظهره ، وهو يتقدّم فوق الحشائش الخضراء ، وقد لفه الظلام ، ووجد أمامه مجموعة من الأشجار الكثيفة المتشابكة ، فاعتلى إحداها ، واتخذ من فروعها مرقدًا له ، واتخذ من حقيبته وسادة ؛ لكى يحصل على بضع ساعات قليلة من النوم ، قبل أن يواصل مهمته ..

وبغريزة الإحساس بالخطر ، فتح (ممدوح) عينيه فجأة ، قبل أن تنقضى ساعة واحدة على نومه ، ليرى أمامه مشهدًا يجمد الدم فى العروق ..

كانت هناك عينان تلمعان فى الظلام ، على مسافة نصف المتر منه فقط ، وهي تحدّق فيه فى شراسة ووحشية ، وسرعان ما تبيّن له أنه يرقد أمام « فهد » أسود ، وقد كشف عن أنيابه الحادة ، وهو يستعد للانقضاض عليه ..

لم يكن (ممدوح) فى وضع يسمح له بالتصرّف السريع ، لمواجهة الموقف العصيب ، الذى وجد نفسه فيه ، وكان يعرف أن الأمر لن يتجاوز ثوانىَ معدودة ، قبل أن ينقضّ هذا الفهد المتوحّش عليه ، لينشب أنيابه الحادة ومخالبه فى جسده قبل أن يُقدِمَ على أية حركة للدفاع عن نفسه ، ومعَ ذلك فقد كان عليه أن يعالج الموقف ، وأن يتصرَّف على نحو سريع وفعال ؛ لذا فقد ترك يده تسقط بجواره ، لتستقرّ على فخذه ، ثم وبمنتهى الهدوء والحذر أخذ يجذب ساق سرواله إلى أعلى ، وهو يراقب زمجرة الفهد المتأهب للانقضاض ، ومدّ يده نحو الخنجر ، الذى لفه برباط مطاطى حول هذه الساق ..

ويبدو أن الفهد قد لاحظ هذه الحركة على الرغم من بساطتها ، والطريقة الهادئة التى نفّذها بها (ممدوح) ، فزاده ذلك شراسة ووحشية ، جعلاه يثب فى اتجاه (ممدوح) وقد برزت مخالبه ، واتسع فكّاه إلى أقصاهما ..



واستقر نصل الخنجر فى عنق الفهد ، الذى أطلق زمجرة قوية ..

ولكن (ممدوح) جذب خنجره فى سرعة ليقذفه فى اتجاه الفهد لحظة وثوبه نحوه ، وهو يستدير ليستلقى على جنبه سريعًا ..

واستقرّ نصل الخنجر فى عنق الفهد ، الذى أطلق زمجرة قوية وقد جاءت وثبته إلى جوار (ممدوح) تمامًا ، فوق جذع الشجرة ، بعد أن تمكّن من الاستدارة على جنبه ، قبل أن تصل إليه المخالب القاتلة ، حتى لقد شعر (ممدوح) بارتطام جسد الفهد ، وبدمائه الحارة وهى تتطاير على ثيابه وذراعه ، ولكنه لم يحرّك ساكنًا ، ولم يحاول حتى أن يستدير ليرى نتيجة عمله ، إذا كان يعلم جيّدًا أن ضربته إذا لم تكن قد جاءت فى مكانها المناسب ، لتقضى على الفهد ، فإنها ربما زادت من وحشيته وشراسته ، فيعمد إلى تمزيق وجهه ، وليس هناك ما هو أخطر من حيوان مفترس جريح ..

ولكن (ممدوح) لم يلبث أن تنفّس الصعداء ، عندما سمع صوت جسد الفهد يرتطم بالأرض ، بعد أن هوى من فوق جذع الشجرة ، وقد صرعه الخنجر ، فهبط خلفه بدوره ، بعد أن جافاه النوم إثر ذلك الموقف العصيب ، الذى وجد نفسه فيه ، ليواصل سيره وسط تلك الغابة الممتدّة أمامه ، ومع

انبلاج الفجر ، كان (ممدوح) قد وصل إلى أحد المراعى ، حيث رأى فى السهل الممتد أمامه فتاة شابة سمراء ، ترعى بعض الخراف الصغيرة ، التى كانت تتناول طعامها من العشب الأخضر ، الذى يغطى السهل ..

وفجأة برز زنجيان فارعا الطول ، وهم يرتديان الثياب العسكرية ، ومعهما البنادق الآلية ، وأخذا يهبطان أحد التلال المطلّة على المرعى ، ولم تكد الفتاة تراهما ، حتى تملكها الخوف ، فأخذت تدفع الخراف أمامها بعصاها ، محاولة الابتعاد عن المكان ، قبل أن يدركها الرجلان ، ولكنّ الزنجيين اندفعا خلفها ، وهما يركضان بأقصى سرعة ، وحاولت الفتاة أن تضم أحد الخراف الشاردة للقطيع قبل أن يلحقا بها ، ولكنها سُرعان ما أطلقت صرخة مدوية ، وأطل من وجهها هلع شديد ، حينما أطلق أحد الرجلين رصاص بندقيته على الخروف الشارد ، فأرداه قتيلًا فى الحال ، وهو يطلق ضحكة مجلجلة ..

وحاولت الفتاة أن تنجو بنفسها ، بعد أن أصبح الرجلان على مسافة قريبة منها ، ولكنهما حاصراها وهما يضحكان من خوفها ومحاولتها مراوغتهما ، وأطبق أحدهما على معصمها فى قوة قائلًا :

— لا تخافى أيتها الجميلة ، لن نلحق بك أذى كبيرًا .

حاولت الفتاة أن تتملّص من يده ، وتعالى صراخها وهى تقول :

— أرجوك اتركنى .. دعنى أعود إلى قريتى .

ولكن زميله رد على صراخها وتوسلاتها بإطلاق عدة رصاصات أخرى على الخراف ، ليقتل خروفًا آخر ، وقال لها الرجل المطبق على معصمها فى قوة وشراسة :

— هل رأيت ؟.. كلما صرخت أو أبديت مقاومة ، ستفقدين أحد خرافك ، فلا داعى لكل هذه الجلبة أو العناد ، وكونى أكثر سلاسة ..

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) قد تناول قوسًا وسهمًا من حقيبته الجلدية وارتكز على إحدى ركبتيه ، وهو يشد وتر القوس فى قوة ، بعد أن ثبّت فيه السهم ، مصوّبًا إياه فى اتجاه الرجل القابض على ذراع المرأة ..

وشقّ السهم طريقه فى الهواء ، وهو يطلق خلفه صريرًا ، ليستقرّ فى رسغ الزنجى ، الذى أطلق صرخة عالية ، وهو يفلت ذراع الفتاة محدّقًا فى ذلك السهم ، الذى استقرّ فى رسغه ، والذى جاءه من حيث لا يدرى ، ونزع السهم من رسغه فى ألم

فى حين اتخذ زميله وضع الاستعداد ، متلفتًا حوله ، ومتطلعًا
إلى التلال المحيطة بالسهل ، وقد وضع إصبعه على زناد
بندقيته ، تأهبًا لإطلاق الرصاص ، أما (ممدوح) ، فقد ترك
جهازًا صغيرًا ، فى حجم جهاز الراديو الترانزستور ، فى تلك
البقعة العشبية ، التى كان راقدًا عليها فى التل ، وأخذ يركض
سريعًا ، منحنى الظهر ، إلى الجهة المقابلة حيث رقد على بطنه ،
وأخذ يزحف على وجهه هابطًا من فوق أحد التلال الصغيرة ،
التى أولاها الرجلان ظهريهما ، وهما يدققان النظر فى الاتجاه
الذى انطلق منه السهم . وحاولت الفتاة أن تنتهز الفرصة
لتهرب ، ولكن الرجل الذى أصيب بالسهم ، اندفع يحيط
خصرها بيديه وقد أطلت من عينيه نظرة حقد وغضب ، على
الرغم من الألم الذى يستشعره ، من جراء إصابته ، ليلقى بها
فوق العشب الأخضر قائلًا :

ــ هل ظننت أنك ستفلتين من يدى أيتها الراعية الحقيرة ؟
يجب أن تعرفى أنه أيا كان ذلك الوغد ، الذى حاول
مساعدتك ، فسوف نقتلك ونقتله فى النهاية .

وكان (ممدوح) فى أثناء ذلك قد أخذ يزحف فوق
العشب ، الذى يغطى السهل ، بين الخراف ، وهو يحاول أن

يتخذ منها ساترًا لإخفاء نفسه ، وتناول من جيبه جهازًا صغيرًا
للتحكم عن بعد (الريموت كونترول) ، ليصوّبه فى اتجاه
التل ، الذى ترك فيه الجهاز الآخر فانطلقت من الجهاز عدة
أصوات عالية متنوّعة ، جذبت انتباه الرجلين ، وأصابتهما
بالتوتر والعصبية ، فتخلى أحدهما عن الفتاة ، ليتناول بندقيته ،
التى تركها على مقربة منه ، فى حين رقد الآخر على بطنه ، وأخذ
يطلق رصاصات بندقيته فى اتجاه مصدر الصوت ، دون أن يحدد
لنفسه هدفًا واضحًا ، وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) قد برز
من مكانه بين الخراف ، ليثب فى اتجاه الرجل ، الذى حاول
التقاط بندقيته ، ملقيًا به على الأرض ، وهو ينهال عليه بلكمات
قوية ، غاب إثرها عن الوعى ، وفى اللحظة التى استدار فيها
الرجل الآخر ، الراقد على الأرض ، ليرى ما يدور خلفه ،
كان (ممدوح) قد قفز فى اتجاهه ، بعد أن تناول بندقية زميله ،
ليضربه فى وجهه ضربة قوية بمؤخرة البندقية ، أعقبها بضربة
أخرى أسرع وأقوى على رأسه ، أفقدته الوعى ، ثم ركل بمقدّمة
حذائه البندقية الآلية بعيدًا عن الرجل ، ليحول بينه وبين
استخدامها مرة أخرى ، ونهضت الفتاة من رقدتها غير مصدّقة
أنها قد نجت ، من هذين الوحشين الآدميين ، وتطلّعت

إلى منقذها فى دهشة ، وقد بدا لها كما لو كان ملاكًا حارسًا ، جاءها من السماء، وسُرعان ما تحولت دهشتها إلى امتنان ، وهى تقترب من (ممدوح) قائلة :

ـــ لاَ .. لا أدرى كيف أشكرك ؟

ولكن (ممدوح) انشغل عنها بمراقبة الرجلين الراقدين أمامه على الأرض العشبية ،وفى يده البندقية التى استولى عليها تحسبًا لأى تصرّف غير متوقع ، إذا ما استردّ أحدهما الوعى ، وقال لها بحسم ، وهو يوليها ظهره :

ـــ خذى خرافك .. وارحلى عن هنا فورًا .

ولكن الفتاة لم تصدع للأمر ، وإنما ازدادت اقترابًا منه ، قائلة :

ـــ من أنت أيها الغريب ؟ ومن أين جئت ؟

أجابها (ممدوح) قائلًا :

ـــ دعك منى ، وعودى إلى قريتك ، قبل أن يسترد هذان الرجلان وعيهما ، وسأبقى هنا لحمايتك حتى ترحلى .

ولكن الفتاة قالت بإصرار ، لا يقلّ عن إصراره :

ـــ ستأتى معى إلى القرية ، فإنك تبدو متعبًا جائعًا ، ولا أقل من أن تحصل على بعض الراحة والطعام ، مقابل صنيعك معى ، الذى لا يقدر بثمن .

وتناولت البندقية الأخرى لتحملها معها قائلة :

ـــ أما عن هذين الرجلين ، فلا تخف . إنهما لا يساويان شيئًا بدون سلاحيهما .

وبدا على (ممدوح) شىء من التردّد ، ولكنها جذبته من ذراعه قائلة .

ـــ هيا بنا .

وتبعها فى ثقة .

* * *



١١ ـ كتيبة الأشرار ..

دخل (ممدوح) إلى القرية الصغيرة ، تتابعه نظرات الفضول والتوجس من عيون القرويين ، حتى وصل إلى منزل الفتاة ، الذى بدا بسيطًا فى مظهره ، وقد شُيِّدت جدرانه من أعواد البوص ، وغطت سقفه مجموعة من الألواح الخشبية ..

ودخل (ممدوح) إلى قاعة المنزل ، حيث تجلس سيِّدة طاعنة فى السن ، تطحن الغلال ، وعلى مقربة منها رجل يناهزها فى العمر ، يتكىء إلى إحدى الوسائد ، وقد افترش الاثنان بعض الحصر على الأرض، فى حين وقف صبيان على مقربة منهما ، يراقبان (ممدوح) فى فضول ..

وقدَّمت الفتاة (ممدوح) إلى عائلتها ، قائلة :

ـ لقد هاجمنى اليوم رجلان من الكتائب المتمرِّدة ، وقتلا بعض الخراف ، وكادا يلحقان بى الأذى ، لولا تدخل ذلك الرجل ، الذى أنقذنى من شرورهما ؛ لذا رأيت أن آتى به إلى منزلنا ؛ لأقدِّمه لكم ، تقديرًا وعرفانًا لما فعله من أجلى .

ومد الرجل يده يصافحه ، قائلا :

ـ ليتنى أستطيع النهوض ، لأضمك إلى صدرى أيها الشاب الشهم الشجاع ، فأمثالك أصبحوا قليلين فى هذا الزمان ، ولكن كما ترى فإن المرض أعجزنى عن الحركة .

تناول (ممدوح) يده ليصافحه بحرارة ، وهو يجلس أمامه على الأرض قائلًا :

ـ لم أفعل سوى الواجب ، وما كان لى أن أترك ابنتكما تحت رحمة تلك الذئاب الآدمية .

قالت الفتاة بحماس ، وهى ترمق (ممدوح) بنظرة إعجاب :

ـ ولكنك كدت تدفع حياتك ثمنا لهذا الموقف النبيل .

نهضت السيِّدة سريعًا ، وهى تقول :

ـ سأعد لك شيئًا من الطعام ، لابد أنك جائع .

حاول (ممدوح) أن يثنيها عن ذلك ، قائلا :

ـ لا تجهدى نفسك من أجلى يا سيِّدتى .

ولكن المرأة قالت ، وفى صوتها ما يجيش فى صدرها من امتنان وتقدير :

ـ وهل هناك جهد يوازى نجدتك لابنتى ؟..

انصرفت السيّدة لتعدّ الطعام ، فى حين قال الرجل ، وهو يدقّق النظر فى وجهه وبشرته البيضاء :

ـــ من أين أتيت يا بنى ؟ إنك تبدو مختلفًا عن أهل هذه المنطقة .

ممدوح :

ـــ إننى مصرى وإسمى (ممدوح عبد الوهاب) .

تهلّل وجه الرجل بالسرور ، وهو يضع يديه على كتفى (ممدوح) قائلًا :

ـــ مصرى .. أهلًا ومرحبًا بك .. أهلًا ومرحبًا بأحد أبناء عمومتنا الأعزاء .

تأثّر (ممدوح) من حرارة مشاعر الرجل وقال :

ـــ أشكرك .

وفى تلك اللحظة حضرت المرأة مع وعاء الطعام ، لتضعه أمام (ممدوح) قائلة :

ـــ أرجو أن تتقبل طعامنا المتواضع ، فالظروف المحيطة بنا هنا لا تسمح لنا بتقديم وجبة شهية تليق بك .

تناول (ممدوح) الوعاء ، قائلًا :

ـــ ليس هناك أشهى من أن يتناول المرء طعامه ، وسط أناس يحيطونه بكل الحب والمودة .

وأقبل على الطعام بشهية حقيقية ، إذ كان يشعر بالجوع لعدم تناوله أى طعام منذ ليلة أمس ، فى حين عاد الرجل يسأله :

ـــ وما الذى جاء بك إلى هذا المكان ، الذى تحاصره المخاطر من كل جانب يا بنى ؟

وضع (ممدوح) يده فى جيبه ، ليخرج منها صورة (شيفى) ، وعدة صور أخرى له متنكّرًا ، وقال :

ـــ جئت من أجل البحث عن هذا الرجل .

تطلّع الرجل إلى الصور المتعدّدة ، قائلًا :

ـــ أى رجل منهم .

وضع (ممدوح) إصبعه على الصورة الأولى قائلًا :

ـــ هذا الرجل .. وكل تلك الصور الأخرى التى تراها ، يبدو فيها متنكّرًا فى شخصيات أخرى .. اسمه (شيفى) ، وهو من (استرتان) ، ومهمتى هى إلقاء القبض عليه ؛ لارتكابه العديد من الجرائم ، التى يستحق عليها العقاب .

قدم الرجل الصور لابنته ، قائلًا :

ـــ وأين ستعثر عليه ، وسط هذا الخضم من المعارك والصراعات الدائرة فى الجزيرة ؟

ممدوح :

ـــ ألم يره أحدكم ؟ أعنى ألم يمر فى هذه القرية منذ فترة قريبة ؟

قال له الأب :

ـــ مع الأسف لا أعتقد أننى رأيت مثل هذا الشخص من قبل .

ونظر (ممدوح) إلى الفتاة ، قائلًا :

ـــ وأنت ؟

هزت الفتاة رأسها نفيًا ، فقدّم (ممدوح) الصور إلى الصبيّين ، اللذين أكّدا أنهما لم يرياه أيضًا ، وعاد الأب يقول :

ـــ الجزيرة تحكمها كتائب المتمردين ، وربما لجأ إلى أى منها .

ممدوح :

ـــ إذن سيكون على أن أبحث عن طريقة لمعرفة أى جماعة من تلك الجماعات المتمردة ، التى لجأ إليها .

الأب :

ـــ ولكنك بذلك تعرض نفسك لخطر داهم .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لقد اعتدت التعامل مع الخطر .

قال الأب :

ـــ حسنًا .. سنتحدّث معًا فى ذلك الأمر فيما بعد .

ونظر إلى ابنته وزوجته ، قائلًا :

ـــ والآن أعدّا مكانًا لضيفنا ، ليحصل علىَ قسط من الراحة .

ألقى (ممدوح) جسده فوق الفراش الخشن ، الذى أُعِدّ له فى إحدى حجرات البيت ، وأغمض عينيه فقط دون نوم ؛ وبعد قليل سمع طرقات على باب المنزل ، وأنصت إلى أحدهم يقول لصاحبه :

ـــ ما هذا الذى سمعناه يا شيخ (بشير) ؟

وسمع صوت الأب يجيب :

ـــ وما الذى سمعتموه ؟

قال صاحب الصوت الأول :

ـــ لقد سمعنا أنك تأوى فى منزلك شخصًا ، تعرض لرجلين من كتائب المتمردين .

أجابه الأب :

ـــ هذا الشخص أنقذ ابنتى من بين أيديهم ، ألا يستحق أن آويه فى منزلى ؟ أعتقد أن هذا أقل ما يمكن أن أقوم به ، تجاه

رجل عرَّض حياته للخطر ، لنجدة ابنتى من شرور هؤلاء العسكريين الأوغاد .

قال الرجل ، وفى صوته نبرة خوف :

ـــ ولكن هذا سيجلب علينا المتاعب ، فلو عرف المتمردون أننا نؤدى ذلك الرجل فى قريتنا ، بعد أن تعرَّض لرجلين من رجالهم ، فسوف يقلبونها رأسًا على عقب ، ولابد أن رجالنا سيلقون على أيديهم أشد أنواع الأذى ، فأنت تعرف مصير من يناصر أعداء هؤلاء المتمردين، ويكفى أنهم يسمحون لنا بزراعة جزء من أرضنا ، والحصول على محاصيلها ، دون التعدّى علينا .

قال الأب فى غضب :

ـــ ولكننا نُقدِّم لهم ثلاثة أرباع المحصول ، غير الماشية والألبان التى ينهبونها منا ، ولَيْتَهُمْ يكتفون بذلك ، بل إنهم يتعرضون لفتياتنا أيضًا ..

هل يرضيك هذا يا (جعفر) ؟ إلى متى سنخضع لهذا الذل والهوان ؟!

أجابه الرجل بانكسار :

ـــ وما الذى يمكننا فعله ؟. إنهم يملكون السلاح ، ونحن لا نملك سوى المعاول والعصى .

قال الأب فى انفعال :

ـــ فلنقاتلهم بالفئوس والحجارة .. لولا هذا المرض ، الذى يعجزنى عن الحركة ، لحملت فأسى وتصدّيت لهم ، فهم ليسوا سوى مجموعة من القتلة الأشرار .

وفى تلك اللحظة تناهى إلى سمع (ممدوح) صوت طلقات نارية ، تتردّد بالخارج ، وأصوات فزعة تصرخ :

ـــ المتمردون .. المتمردون .. إنهم يقتحمون القرية .

ونظر الرجل إلى الأب فى هلع ، قائلًا :

ـــ ألم أقل لك ؟ لقد جاء هؤلاء الأشرار ، الذين تتحدث عنهم ، لينشروا شرهم فى قريتنا .. لقد جلبت المتاعب على قريتنا يا شيخ (بشير) بإحضار ذلك الرجل .

وكان على (ممدوح) أن يستعد لمواجهة ذلك الخطر .. وحده .

* * *

١٢ ـ جسر الرعب ..

وقف (ممدوح) وراء باب الحجرة عندما اقتحم عدد من الرجال المسلحين المنزل ، شاهرين أسلحتهم فى وجه الأب وأبنائه ، وصاح أحدهم :

ـ أين ذلك الرجل ، الذى تخفونه فى منزلكم ؟

أجابه الأب بثبات :

ـ إننا لا نخفى أحدًا فى منزلنا .

خشى (ممدوح) أن تتعرض تلك العائلة للأذى بسببه ، فدفع الباب خارجًا ملقيًا سلاحه ، وهو يواجه أولئك المسلحين ، قائلًا :

ـ أنا هو ذلك الرجل ، الذى تبحثون عنه .

اندفع اثنان من المسلحين نحوه على الفور ، شاهرين أسلحتهم فى وجهه ، وقال أحدهما :

ـ تقدّم أمامنا أيها الوغد ، واضعًا يديك فوق رأسك .

امتثل (ممدوح) للأمر ، فى حين قام أحدهم بجذب الفتاة من شعرها إلى الخارج ، قائلًا للأب :

ـ سنجعل ابنتك تدفع ثمن أكاذيبك أيها الشيخ .

قال (ممدوح) ، محاولًا منعهم من القبض على الفتاة :

ـ لا شأن للفتاة بالأمر ، أنا الذى اقتحم المنزل وأجبر تلك العائلة على إخفائى .

ولكن أحدهم لكزه بماسورة مدفعه فى أحد جانبيه ، قائلًا :

ـ لا تحاول أن تلعب دور الشهم مرة أخرى ، فأنت فى موقف لا يسمح لك بذلك .. هيا تقدم أمامنا .

أراد الصبيّان التدخل لإنقاذ أختهما ، ولكن أحد الرجلين ضرب أحدهما بمؤخرة بندقيته فى صدغه فألقاه أرضًا ، وصاح الأب فيه ، وهو يحاول مساعدة نفسه على النهوض :

ـ أيها الأوغاد .. دعوا ابنتى .

فتقدم أحدهم ليركل الشيخ بحذائه ، ملقيًا به على الجدار ، حيث تهاوى على الأرض مرة أخرى ، وسط صراخ وعويل الأم ، وعندئذ وجّه (ممدوح) لكمة قوية إلى فك أحدهم ، محاولًا التدخل لمساعدة الأسرة ، ولكنهم انهالوا عليه بمؤخرة أسلحتهم ليطرحوه أرضًا فاقد الوعى ، وقد غطت الدماء والكدمات وجهه ، ثم قاموا بجذبه إلى الخارج من قدميه ، وهم

يجرونه على الأرض ، مع الفتاة التى أخذوا يجذبونها من شعرها ، ووقف قائد المجموعة العسكرية فى بقعة تتوسط القرية ، واضعًا يديه حول خصره ، وهو يهتف فى أهل القرية ، الذين التفُّوا حوله فى حلقة دائرية ، قائلًا بخشونة :

ـــ حسنًا .. لقد أخفيتم ذلك الرجل الذى اعتدى على اثنين من رجالنا ، وسنجعلكم تدفعون جميعًا ثمن ذلك .

ثم أصدر أوامره إلى رجاله ، قائلًا :

ـــ أشعلوا النيران فى هذه القرية .. أريد أن تتحوَّل إلى رماد خلال ساعات قليلة .

اندفع الرجال المسلحون ينفذون أوامر قائدهم ، فقاموا بإلقاء عدد من القنابل الحارقة والمشاعل على منازل القرية ، لتتأجَّج فيها النيران ، وهم يضحكون فى هستيريا ، وكان (ممدوح) قد استردّ وعيه بعض الشيء ، ففتح عينيه ليرى هذا المشهد الأليم ، وسط صراخ أهالى القرية وبكائهم ، وضحكات المتمردين الساخرة ، وانتابه شعور بالذنب ؛ لأنه تسبَّب دون قصد فى هذه الكارثة التى ألمت بالقرية ، كما شعر بالأسى ؛ لعجزه عن التدخّل لمساعدة الأهالى ، ضد طغيان هؤلاء الأشرار ، من أصحاب الثياب العسكرية .

إنها المرارة ..

مرارة الفشل ..

* * *

وجد (ممدوح) نفسه داخل حجرة ضيقة شبه مظلمة ، ذات جدران باردة ، تتوسَّط معسكرًا حربيًّا صغيرًا ، ثم فتح باب الحجرة فجأة ، ليدخل منه شخص أسود اللون ، متوسِّط القامة ، أشعث الشعر ، يرتدى نفس الثياب العسكرية التى يرتديها الآخرون ، ويحمل فى عينيه ملامح القسوة والشراسة ، وهو يتقدَّم فى اتجاه (ممدوح) يصحبه ثلاثة من أعوانه ، وقرَّب وجهه منه ، وهو يحدق فيه بعينين ناريتين ، قائلًا بغلظة :

ـــ حسنًا أيها المصرى .. لقد أتيت إلى تلك البقعة دون أسباب واضحة ، واعتديت على اثنين من رجالنا ، ويتعيَّن عليك الآن أن توضح لنا تلك الأسباب ، التى أتت بك إلى هنا ، وتخبرنا لصالح من تعمل .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـــ لقد جئت إلى هنا من أجل السياحة ، فقد قيل لى : إن هذا المكان يتميز بالهدوء ، والمشاهد الطبيعية الخلابة

ابتسم الرجل ابتسامة وحشية ، كشفت عن أسنان صفراء ، وهو يقول :

ــ دعابة ظريفة .

ثم انهال على فك (ممدوح) بلكمة قوية ، دفعته ليصطدم بالجدار ، وهو يستطرد :

ــ ولكننا هنا لا نميل إلى الدعابات .

وأشار إلى أحدهم ، الذى تقدم نحو (ممدوح) ، ليضع نصل خنجره على عنقه بحيث آلم جلده ، فى حين عاد الرجل ذو الأسنان الصفراء يقول :

ــ والآن .. ما رأيك فى أن تقول لنا الحقيقة ، أو أدع هذا الرجل يمزّق عنقك .

قال (ممدوح) بثبات أعصاب :

ــ إننى لا أريد أن يشوه عنقى بالطبع ، ولكننى لا أعرف أية حقيقة تلك ، التى تريدون منى أن أقولها .

تناول الرجل مجموعة الصور ، التى كان (ممدوح) يحتفظ بها لـ (شيفى) ، قائلًا :

ــ مثلًا .. ما الذى يدعوك إلى الاحتفاظ بهذه الصور فى جيبك ؟

قال (ممدوح) باستخفاف :

ــ صاحبها صديق قديم لى .

تراجع الرجل إلى الوراء عدة خطوات ، وهو يطلق بضعة ضحكات متقطِّعة ، ليجلس فوق أحد المقاعد ، واضعًا ساقًا فوق ساق ، ومردِّدًا :

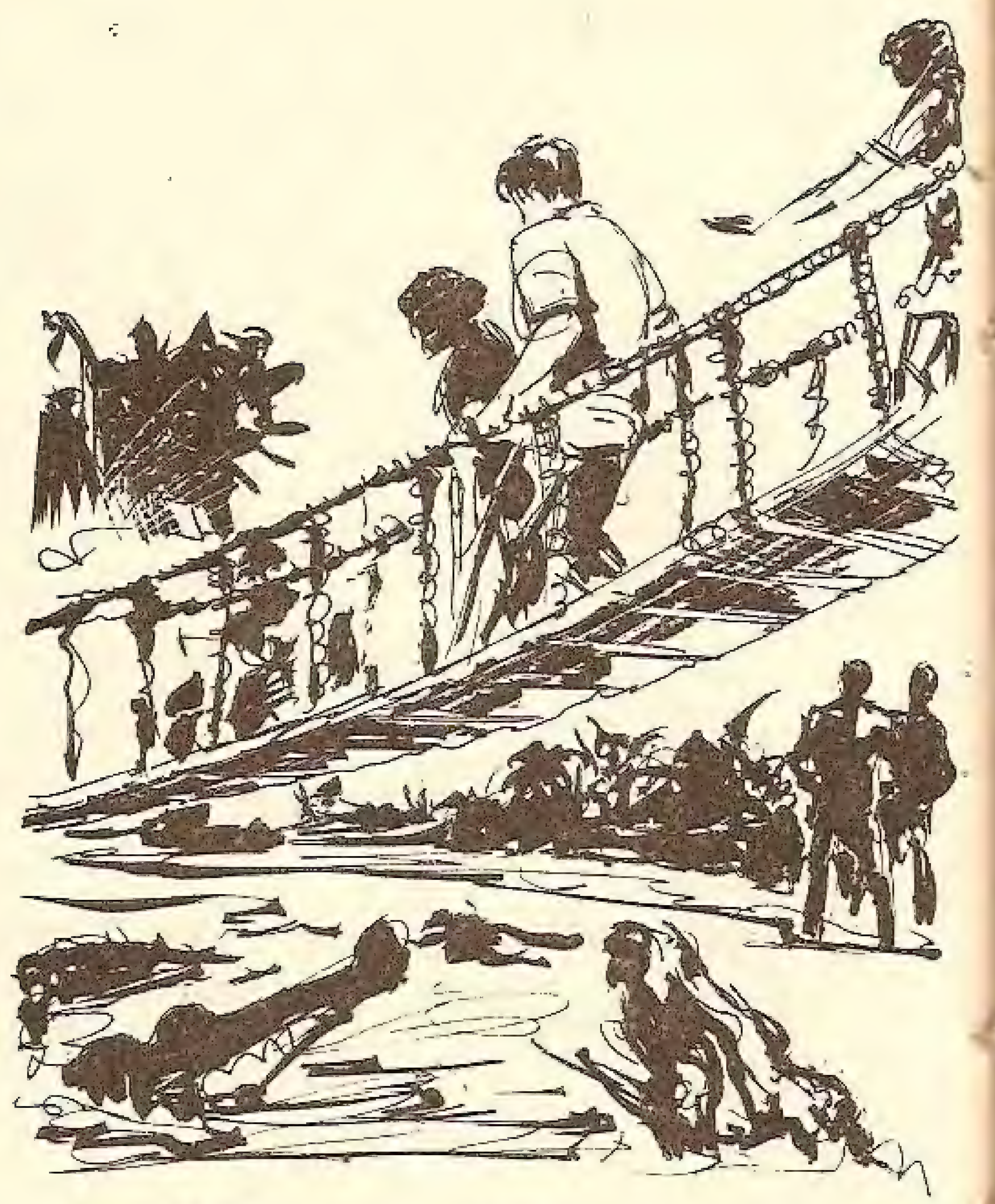
ــ صديق قديم لك ؟! حسنًا .. ما رأيك فى أن تجدد الذكريات مع صديقك القديم ؟

وفى تلك اللحظة فُتح باب جانبى للحجرة ، ليدخل منه (شيفى) الذى فرد ذراعيه ، قائلًا بسخرية :

ــ مرحبًا بك أيها الصديق العزيز .

ووضع ذراعه حول كتف (ممدوح) ، وهو ينظر لقائد كتيبة المتمردين ، قائلًا :

ــ عزيزى (ألبرت) .. يُسعدنى أن أقدِّم لك صديقى اللدود (ممدوح عبد الوهاب) ، عميل جهاز الأمن المصرى الشهير ، المعروف بالمكتب رقم (١٩) ، أو إدارة العمليات الخاصة ، وهو واحد من أبرع رجالهم ، إن لم يكن أبرعهم على الإطلاق ، ولقد بذل جهدًا مضنيًا يستحق التقدير ، لمطاردتى والإيقاع بى .. ما رأيك ؟. ألا يستحق ذلك الرجل معاملة خاصة ، على المجهود الذى بذله ؟



دفع المتمردون (ممدوح) والفتاة فوق جسر صغير من الحبال ، يطلّ على بحيرة صناعية ، تكتظ بعشرات التماسيح ..

قال قائد المتمردين فى خشونة :

ـــ نعم .. إنه يستحق ذلك بالفعل .

وأشار إلى الرجل ذى المدية إشارة خاصة ، همّ على أثرها بدفع مديته . فى عنق ممدوح .

ولكن (شيفى) استوقفه قائلًا :

ـــ لا يا (ألبرت) .. ليس بتلك الوسيلة وهذه السرعة .. إننى أقول معاملة خاصة .

وضحك ألبرت ساخرًا ، وقال فى لهجة مخيفة :

ـــ لقد فهمت .. لدى الأسلوب الذى يتناسب معه .. ويناسبه تمامًا .

وأطلق ضحكة عالية ..

* * *

دفع المتمردون (ممدوح) والفتاة فوق جسر صغير من الحبال ، يطلّ على بحيرة صناعية ، تكتظ بعشرات التماسيح الجائعة ، ووقف (ألبرت) مع (شيفى) أمام الجهة المقابلة من البحيرة ، وعلى وجهه ابتسامة قاسية ، قائلًا بصوت عال ، لكى يسمعه (ممدوح) :

ـــ ما رأيك يا عزيزى (شيفى) فى وسيلة الموت هذه ؟.

أن صديقنا يقف فوق جسر من الحبال القديمة ، وتقع تحته مباشرة بحيرة بها عشرات التماسيح الجائعة ، وعما قليل يقوم رجالى بإشعال النيران فى الجهتين من الجسر ، ليصبح أمام صديقنا أحد خيارين ، إما الموت حرقًا ، أو الانتظار حتى يتهاوى الجسر تحت قدميه ، ليسقط هو ورفيقته فى البحيرة ، ويتحوّلا إلى طعام للتماسيح الشرهة .

وأطلق إشارة من يده إلى رجاله ، فقاموا بإشعال النيران فى الجسر من الجهتين ، وهو يستطرد بصوت مرتفع :

ـــ وداعًا أيها المصرى .. لقد جعلت رفيقتك تصاحبك إلى حيث نهايتك ، حتى تذكرك دائمًا بتلك الحماقة التى ارتكبتها .

أخذ (ممدوح) ينظر إلى الجهتين من الجسر ، اللتين أمسكت بهما النيران ، وإلى التماسيح ، التى كشفت عن فكيها ، وهى تتطلع إلى أعلى ، فى انتظار وجبتها ، فى حين انهارت الفتاة من الرعب ، وأخذت ترتعد فى هستيريا .

وقال (شيفى) فى تشفٍّ :

ـــ وداعًا يا رجل العمليات الخاصة .. لقد فشلت المهمة التى كلفوك إياها .

ولكننى أعدك أن أواصل مهمتى ، وسأنجح فى تنفيذها .

وأطلق ضحكة ساخرة طويلة ، قبل أن يستطرد :

ـــ بعد مصرعك .

وكان هذا يعنى ربحه لجولة جديدة ..

الجولة الأخيرة .

* * *



١٣ — صراع المحترفين ..

اندفعت الفتاة نحو إحدى جهتي الجسر ، محاولة الهرب ، فاندفع (ممدوح) خلفها ، ليحول بينها وبين ذلك ، ولكنها قاومته قائلة فى هستيريا :

— دعنى .. أفضّل أن أحترق هذه النيران ، فربما كانت هناك فرصة للهرب ، بدلًا من أن أصبح طعامًا للتماسيح الجائعة .

ولكن (ممدوح) جذبها إلى الخلف ، قائلًا :

— لن تكون هناك أية فرصة ، لو أقدمت على ذلك ، فحتى لو نجوت من النيران ، فإن أولئك الرجال سيطلقون عليك رصاصات أسلحتهم .

وقالت الفتاة ، وهى تنتحب :

— وهل سننتظر حتى يتهاوى الجسر تحت أقدامنا ، لتفترسنا تلك الحيوانات البشعة ؟

قال (ممدوح) ، وهو يحاول السيطرة على أعصابه :

— ربما كانت فرصتنا معهم أفضل .

قالت الفتاة ، وقد اشتدّ فزعها :

— أية فرصة ؟.. إن تلك التماسيح .....

لكنها لم تكمل جملتها ، إذ سرعان ما انتشرت النيران فى الجسر ، ليتهاوى أسفل أقدامهما ، ليهويا معه إلى البحيرة ، وساعدت القطع المشتعلة من الجسر التى سقطت فى البحيرة ، على إبعاد التماسيح مؤقتًا ، حيث بقى لهيبها متأجّجًا فترة قصيرة ، قبل أن ينطفىء فى مياه البحيرة ، فى حين أحاط (ممدوح) خصر الفتاة بذراعه ليغوص بها إلى أعماق البحيرة وسط التماسيح الجائعة ، وحاولت الفتاة أن تطفو من جديد ، ولكنه أجبرها على البقاء فى الأعماق ، وهو ينتزع مؤشر ساعته ، بعد أن حرّكه يمينًا ويسارًا ، ثم جذبه إلى أعلى ، حيث بدا أشبه برأس دبوس رفيع ، وغرز (ممدوح) الدبوس فى جسد أقرب التماسيح إليه ، فأخذ جسد التماسيح يتحرك يمينًا ويسارًا وذيله يلاطم المياه ، ثم ابتعد عنه وقد بدا ساكنًا ..

وفعل (ممدوح) نفس الشىء مع التمساح الآخر ، الذى حاول مهاجمته ، واستمر فى استخدام ذلك الدبوس العجيب ، محتفظًا بجسده وجسد الفتاة أسفل المياه ، وهو يسبح نحو الجهة الأخرى من البحيرة ، واستغل وجود

حشائش (السافانا) الطويلة ، التى تنتشر على أطراف البحيرة ، ليطفو برأسه ورأس الفتاة ، مستترًا بتلك الحشائش عن أعين الرجال ، الواقفين على الجهة الأخرى من البحيرة ، واستمر استغلال تلك الحشائش الطويلة ، فى الزحف بينها ، فى أثناء صعوده إلى الشاطىء ، حتى ألقى جسده وجسد الفتاة المنهك بين تلك الحشائش ، وهما يحاولان التقاط أنفاسهما اللاهثة ، وما أن التقطت الفتاة أنفاسها ، حتى نظرت إليه وقد حلت الدهشة محل الفزع فى عينيها ، وهى تقول :

— كيف ؟.. كيف استطعت أن تنجو بنا من تلك الأنياب المفترسة ؟

قال (ممدوح) وهو يعيد الدبوس إلى ساعته :

— إنها إحدى وسائلنا ، لمواجهة مثل هذه المواقف العصيبة ، فمؤشر الساعة مزود بدبوس كهربائى ، مشحون لعدة ساعات ، ويكفى أن أدفع سن هذا الدبوس فى جسد عدوى ، لكى أصيبه بالشلل ، من جرّاء الشحنة الكهربائية ، التى أبثها إلى جسده ، فيبقى ساكنًا لعدة ساعات ، قبل أن يعود إلى حالته الأولى ، وبهذه الطريقة نجونا .

وابتسمت الفتاة قائلة :

— يا لها من وسيلة مدهشة !! لقد أنقذت حياتنا .

ابتسم (ممدوح) ردًا على ابتسامتها ، قائلًا :

— ما زال لدى الكثير من الوسائل الأخرى ، ألا تريدين أن تلحقى شيئًا من الانتقام بأولئك الأوغاد ، الذين أحرقوا قريتك ، وكادوا يفتكون بك ؟

قالت بحماس :

— بالطبع .

ممدوح :

— ألا تخشين أن تتعرّضى للموت مرة أخرى ؟

أجابته بنفس الحماس :

— معك لم أعد أخشى شيئًا .

ممدوح :

— حسنًا .. عودى سريعًا إلى قريتك ، وحاولى أن تبحثى عن حقيبة جلدية أحضرتها معى ، وتركتها فى منزلكم ، قبل أن يأتى أولئك الأوغاد ، ويأخذونا إلى معسكرهم ، ربما لا تكون النيران قد أتت عليها هى الأخرى ، فإذا عثرت عليها أحضريها إلىَّ سريعًا ، ففيها بعض أنواع التكنولوجيا الأخرى ، التى ستدهشك ، وتجعلنا نلحق بعض الخسائر بأولئك الأشرار .

حاولت الفتاة أن تنهض ، قائلة :

ــ على الفور .

ولكن (ممدوح) دفع رأسها إلى أسفل بين الحشائش ، قائلاً :

ــ ازحفى أوّلاً ، ولا تحاولى الوقوف على قدميك ، إلا بعد عدة أمتار ، حتى لا يروك من الجهة الأخرى للبحيرة ، فأغلب الظن أنهم يعتقدون الآن أن التماسيح قد التهمتنا ، وهذا سيكون فى صالحنا ، أما أنا فسأبقى هنا لأراقب المعسكر ، حتى أضمن عدم مغادرة (شيفى) له ، فهو هدفى الحقيقى ، الذى أسعى خلفه .

ونظر إليها مضيفًا فى حزم :

ــ لا تدعى أحدًا يراك .. هل أنت متأكدة أنك تعرفين الطريق ؟

أجابته فى ثقة :

ــ بكل تأكيد .

ممدوح :

ــ حسنًا .. فلتصحبك السلامة .

أخذت الفتاة تزحف بين الحشائش الطويلة ، فى حين بقى

هو رابضًا فى مكانه ، وهو يراقب انصراف المتمردين ومعهم (شيفى) ، من حول البحيرة ، عائدين إلى خيامهم وحجراتهم ، والتقط نفسًا عميقًا ، واستعد للجولة الأخيرة ..

* * *

بعد مرور نصف الساعة ، عادت الفتاة حاملة الحقيبة وقدمتها إلى (ممدوح) قائلة :

ــ ها هى ذى الحقيبة .. لقد احتفظ بها أخواى سليمة .

قال (ممدوح) سعيدًا :

ــ مدهش .. ستقدم لنا هذه الحقيبة خدمات عظيمة ، والآن ابقَىْ أنت هنا ، أو عودى إلى قريتك ، فسوف أتولى أمر هؤلاء الأوغاد الآن .

قالت الفتاة :

ــ لن أتركك بمفردك .. لقد اتفقنا على أن ننتقم منهم معًا .

ممدوح :

ــ كل ما أريده منك هو أن تبقى هنا ساكنة ، وتدعى لى الأمر ، فسوف أمارس بعض الألعاب الخطرة مع أولئك الأشرار ..

ثم عمد (ممدوح) إلى تسلق بعض الأشجار المحيطة بالبحيرة ، وهو يثبت بين أغصان كل شجرة منها بعض الأسلحة النارية ، التى كانت تحتوى عليها الحقيبة ، وراح يقفز من شجرة إلى أخرى ، حتى وصل إلى معسكر المتمردين ، ولم يكد يهبط إلى الأرض ، حتى فاجأه أحدهم ، الذى بدا وقد فوجىء هو الآخر بوجوده فأسرع يتناول سلاحه ليشهره فى وجهه ، ولكن (ممدوح) قذف خنجره إلى صدر الرجل ، فأرداه قتيلًا على الفور ، ثم تناول مدفعه الآلى ، وأخذ يتنقّل فى خفة بين أرجاء المعسكر ، حتى وقف خلف الحجرة التى رأى (شيفى) وقائد المعسكر يدخلانها ، وأخرج من جيبه جهاز (التحكم الآلى عن بعد) ، الذى كان يحمله معه وصوّبه نحو الأسلحة النارية، المثبتة على أغصان الأشجار، قائلًا لنفسه :

— والآن سنرى بعض الفوائد الأخرى ، لجهاز (الريموت كونترول) .

إثر تلقّى الإشارة الإليكترونية ، المصوَّبة من جهاز (الريموت) ، تحرّك زناد الأسلحة المثبتة فى الأشجار إلى الوراء ، لتندفع عشرات الطلقات النارية فى اتجاه المعسكر ، محدثة صخبًا وضجيجًا عاليًا ، واندفع الرجال من خيامهم فى

ذعر ، وهم يتساءلون عما حدث ، فى حين خرج قائدهم من حجرته ، وهو يصرخ قائلًا :

— هجوم .. إنه هجوم على المعسكر .. استعدوا للقتال .

أسرع المتمردون يتناولون أسلحتهم ، وهم يطلقون الرصاص بطريقة عشوائية ، على عدو خفى ، وانتظر (ممدوح) حتى غادر (شيفى) الحجرة بدوره ، متطلعًا إلى الجهة التى تأتى منها طلقات الرصاص ، وقد أمسك بمسدسه ، وانتهز (ممدوح) الفرصة ليدفع فوهة مدفعه إلى ظهر (شيفى) ، قائلًا بصوت خافت :

— حسنًا .. والآن ألق سلاحك على الأرض ، وتقهقر إلى الوراء ، فلا شأن لنا بتلك الفوضى ؛ لأن بيننا حساب يتعين علينا أن نصفيه معًا ..

ألقى (شيفى) بمسدسه على الأرض ، وهو يتراجع إلى الوراء قائلًا :

— هل تعرف أننى لست مندهشًا ، لأنك نجوت من تماسيح البحيرة ، لو حدث غير ذلك لخاب أملى ، إذ إننى أعرف أنك ماهر للغاية ، وخصم يستحق الإعجاب ، لذا أردت أن تستمر اللعبة بيننا لأطول وقت ممكن ، فأنا من المؤمنين بالمنافسة الحقيقية .

ممدوح :

ــ اللعبة انتهت يا (شيفى) وعليك الآن أن تعود معى ؛ لتسدّد ثمن جرائمك .

وفى تلك اللحظة ظهر أحد المتمردين بغتة ، شاهرًا سلاحه فى وجه (ممدوح) ، الذى عاجله بعدة طلقات سريعة من مدفعه أردته قتيلًا ، ولكن (شيفى) انتهز الفرصة ليستدير سريعًا فى مواجهة (ممدوح) ، وهو يضغط على جسم المدفع المعدنى ، محوِّلًا فوهته بعيدًا عنه ، وهو يقول :

ــ هذا ما تظنه أيها المقدّم .. فاللعبة لم تنته بعد .

حاول زحزحة (ممدوح) إلى الوراء ، وهو يضغط على جسم المدفع المعدنى ، ولكن (ممدوح) تخلّى عن المدفع الآلى فجأة ، ليسدّد لكمة هائلة إلى فكه ، جعلته يترنّح إلى الوراء عدة خطوات ، ثم أعقبها بلكمة أخرى فولاذية ، أطاحت به أرضًا ، وأخمدت حركته تمامًا ..

وفى تلك اللحظة ، توقّفت طلقات الرصاص المتبادلة مع العدو المجهول ، ليقتحم المعسكر أعداء حقيقيون هذه المرة .. إنهم أهالى القرية المنكوبة ، جاءوا حاملين المشاعل والفؤوس والحجارة ؛ ليقتحموا معسكر المتمردين ، معلنين غضبهم واحتجاجهم ورغبتهم فى الانتقام ..

وفى أثناء تلك الفوضى ، تحطّم السور الخشبى الذى يفصل البحيرة عن المعسكر ، لتندفع عشرات التماسيح فوق الحشائش مغادرة البحيرة ، وتلتهم ما تتلقفه فكوكها من أولئك الأشخاص ، الذين يتساقطون على الأرض ، فى خضم هذا الصراع العنيف ، أما ممدوح فقد تولّى تقييد غريمه ، ثم حمله فوق كتفيه ، استعدادًا لمغادرة المكان .

لقد ربح الجولة الأخيرة ..

* * *

أجرى (ممدوح) اتصالًا لاسلكيًا ، عبر الجهاز الذى يحمله معه ، بالقاعدة العسكرية التابعة للجيش السودانى ؛ ليخبرهم بنجاح مهمته ، وفى خلال ساعة واحدة كانت الهليوكوبتر قد استقرّت فى البقعة التى حملت إليها (ممدوح) ، حيث دفع (ممدوح) بالعميل الاسترتانى المقيَّد داخل الطائرة ، ليركب معه داخلها ، فارتفعت تحلق بهما عائدة إلى القاعدة العسكرية ، ومنها إلى (القاهرة) ..

* * *

وفى اليوم التالى كانت وسائل الأعلام المصرية والعالمية تنقل

خبر القبض على العميل الإسترتانى (شيفى) ، الذى كلفته (أسترتان) مهمة قتل العلماء الألمان فى (مصر) ، ومحاكمته أمام القضاء المصرى ، أما (ممدوح) فكان يحظى بإجازة قصيرة فى منزله ، يستريح خلالها من الجهد الكبير ، الذى بذله للقبض على واحد من أخطر خصومه ، وتأهبًا لمهمة جديدة .. مهمة خاصة .

* * *

[تمت بحمد الله]

العميل المحترف

قالت الفتاة وقد اشتد فزعها :

ـــ أيّة فرصة .. إن تلك التماسيح ...

ولكنها لم تكمل جملتها ، إذ سرعان ما انتشرت النيران فى الجسر ، ليتهاوى أسفل أقدامها ، ويهويان معه إلى البحيرة .

المؤلف



ا . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة

المكتب رقم (١٩)

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

العدد القادم قصر الشيطان

الثمن فى مصر
ـــــ ص

وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم